النَّاجي

الطبعة الأولى
١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

اسم الرواية: النَّاجي
اسم المؤلف: مروان عجمي
التدقيق اللغوي: منى الضايع
تصميم الغلاف: محمد دربالة
الإخراج الداخلي: عمر اسامة
رقم الإيداع: ٢٠٢٢ / ١٥٦٧٣
الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٦٨٧٤-٩٢-٣

مسار للنشر و التوزيع

ش- حسن خطاب – قسم يوسف بيك – الزقازيق – الشرقية
01020439639
massar.pub1@gmail.com

النّاجي

مروان عجمي

مسار
للنشر والتوزيع
Massar publishing & Distribution

إهداء

إلى صديقي الأعز وأخي محمد أيمن عزت الذي كان سبباً في بدايتي للكتابة، وإلى رانا خالد إبنة خالتي الغالية التي كانت تساعدني بأرائها في كل ما أكتب وكانت خير محفز لي في الإستمرار ، وإلى كل أصدقائي الذين ساعدوني بأرائهم التي شجعتني لأكتب المزيد والمزيد،وإلى وأبي محمد عجمي الذي لم يبخل علي بشئ، وختامها مسك إهداء لأمي العزيزة هالة حماد التي ورثت منها قدرتي على الكتابة.

مقدمة

إلى كلِّ من عانى ولم يجد من يبوح له، إلى كلِّ شخص تعرَّض في طفولته لما جعله مميَّز عن البقيَّة، جعله يرى العالم بشكلٍ أكثر ذكاءً ومنطقيَّة، هذه الرواية لك.

ستجد في بعض الكلمات عذابك، وستجد في البعض الأخر خلاصك لكنَ صدِّقني بعد قراءتها لن ترغب بتغيير لحظة من طفولتك المشوَّهة، بل ستكون ممتنًا لهذه الطفولة التي جعلتك بهذه العقليّة.

(١)

١٣ يناير ٢٠٠٧م ..

قالوا من لم يفقد أمُّه لم يفقد شيئاً..

حسناً، لا تعمِّم.

غرفةُ نوم هادئة لا نسمع بها صوت، كأنَّها ساحة معركة بعد انتهاء الحربِ، – أقسم لك أنَّه من شدَّة برودتها سترتجف يداك وتتخبَّط قدماك – لا يوجد بها إلَّا طفلان أحدهما في الثانية عشر من عمره اسمه "يحيى" والأخر في التاسعة واسمه "مروان". تبدو الغرفة قذرة لا يوجد من يهتَّم بها، لا يوجد شيء في مكانه الصحيح ومعظم أثاثها محطَّم، يبدو أنَّها ليست ساحة معركة بعد انتهاء الحرب في الهدوء فقط.

"مروان" الطفلُ الهزيلُ البنية، صغير السِّن، يبكي على السرير المحطَّم، وكيف لا يبكي وعلامات الضربِ تملأ جسده النحيل، وبعض قطرات الدم تتساقط من شفاهه. تقطَع بكاءه يد يحيى لتضع

له على جروحه بعضًا من قطرات المعقّم فيزداد ألمه عند وضع أخيه للمعقم على شفاهه، لكنَّه يحاول أن يتماسك قدر المستطاع، فيحاول إخفاء صوته كأنَّ هناك أحدًا يزعجه صوت هذا الطفل الصغير الذي يتألم من شدة الضرب. لكنَّه لم يُضرب لوحده يبدو أنَّ أخاه الكبير أخذ النصيب الأكبر من العذاب أيضاً. لكن ما هذا البرود الذي على وجه "يحيى"، هذا وجه شخص قد تحطَّم آلاف المرَّات حتَّى إعتاد ألمه، وخسر كل مشاعر البشرِ، لكن كيف يبدو بهذا الهدوء والثبات ولا يوجد جزء من جسده إلَّا وبه قطرات حمراء !

قد يجعلك هدؤه تظنُّ أنَّ قطرات الدم تلك ليست إلَّا عصيراً أحمر اللون سُكب عليه بعضاً من قطراته، ولن تشك لحظةً أنَّ هذه هي دماؤه التي تغطّي أنفه وشفتاه ويداه، بالإضافة إلى العلامات التي تملأ جسده منها القديم وبعضها الحديث.

يقطعُ الصمت المخيف سؤالاً كان يدور في بال يحيى، هرب السؤال من سياج عقله ليخرج إلى لسانه في محاولة لإيجاد الإجابة.

- تفتكر الروح شكلها إيه يا مروان؟ شبهنا ولَّا شبه إللي في قلبنا.

ينظر مروان له وهو يلتقط أنفاسه بصعوبة من فمه، ويسحب الهواء بقوَّة إلى أنفه لكي يمنع نزول المخاط، وكأنَّه خارجاً من

سباق للجري كان يحاول الفوز به وعندما اقترب لخطِّ النهاية وقع أرضاً وتعدَّاه جميع المتسابقين، فامتزج المجهود المبذول بالحزن مع البكاء مع خيبة الأمل. ردَّ على أخيه بعدما جمع شتات أفكاره :

- معرفش..! بس لو شكلها شبه إللِّي في قلبنا ماما روحها هيبقى شكلها وحش أوي .. ولو شكلها شبهها هتبقى وحشة برضه.

يقطع هذا الحوار صوتُ طرقٍ مستمر لباب الشقَّة، ويبدو أنَّ الطرق قد أغضب سيدة المنزل "زينب" ً"(الأم)" التي تتواجد في الغرفة المجاورة لغرفة الصبيين لتقول بأعلى صوتها الذي يتمنَّى الصبيَّان لو يختفي هذا الصوت من الوجود ويذهب في أقصى قاع الجحيم وهو المكان الذي يستحقُّه .

- حدِّ يقوم يشوف الباب دة

يرد يحيى لكي يضمن ألَّا يسمع صوتها مجدداً.

- حاضر

يترك يحيى أخيه في الغرفة ويذهب ليفتح الباب ويرى من الطارق، كانت "رَوان" جارته التي تسكن في الدور الأعلى منه مباشرةً.

"رَوان" الفتاة الجميلة التي تمتلك ابتسامة تستطيع أن ترمِّم القلب

المحطَّم، الفتاة التي تمتلك وجهاً ملائكياً، كانت ترتدي فستاناً مليء بالأزهار المطبوعة عليه والتي تعكس جمالاً يشبه رائحتها، وقلباً أبيضًا كحجر الكعبة قبل أن تلوِّثه خطايا البشر، لا يعرف شيئاً عن قُبح العالم، كانت مثالاً للطفولة الحقيقية وتجسيداً واضحاً لسذاجة الأطفال التي لا يعرف عنها يحيى شيئاً، بالرغم من أنَّهما بنفس العمر.

ينظر "يحيى" لـ"روان" بتعجُّب، فهو لا يعلم سبب نزولها، وكأنَّه شيئاً جديداً قد حدث استدعى نزولها من جنَّتها إلى الجحيم بقدميها. تقطع "روان" الصمت الذي استمرَّ لعدَّة ثوانٍ لا أكثر.

- إزيَّك يا يحيى ؟

ينظر "يحيى" لجسده المغطَّى بالكدمات، ويردُّ عليها باستهزاء :

- كويِّس.. مش باين؟

يلتفت يحيى خلفه متأكداً من عدم خروج الأم من غرفتها، يخرج ويغلق الباب تاركاً أخيه خلفه ويذهب ليجلس هو و"رَوان" على السلَّم الذي أمام باب شقَّته.

تستمر "رَوان" بالنظر إلى "يحيى" وإلى الكدمات التي تغطِّيه بعين متأثِّرة كما لو أنَّها تحتضنه داخل عينيها، وتقول له: لا تحزن أنا بجانبك، لست مكانك ولا أتمنَّى أن أكون، لكنّني أشعر بك

وأشعر بالألم الذي تخفيه.

لكن في الحقيقة "يحيى" لا يهتم بما تشعر "روان" اتجاهه ويعتبر نظراتها نظرات شفقة لا غير، فهو يكره هذه النظرات كل الكره، لأنَّه لا يفهم هذه العاطفة الغريبة، "يحيى" يكره ما لا يفهمه، فيقرر إنهاء هذه النظرات.

- هتفضلي بصّالي كتير!.. كنتي بتخبّطي ليه؟

- سمعت صوت مامتك وهي بتضربك إنت ومروان.. كنت هنزلك بس خوفت.. فقولت لماما تنزل تحوش عنك.. بس قالتلي ملناش دعوة. بس لمّا مامتك صوتها راح عرفت إنّها سابتكه.. فنزلت أطمِّن عليك.

لم يرحْ هذا الكلام "يحيى" بل تمنَّى لو أنَّها لم تُجِبْ، لقد كان أخر ما يريده هو أن يتدخّل أحد في شؤونه بأيٍّ طريقةً كانت، لذا بدا عليه الانزعاج عند سماعها، فقال لها:

- ما تطلبيش من مامتك تعمل حاجة تاني مش محتاجين مساعدة أو شفقة من حد.

ظهر على "رَوان" تعابير التعجّب الشديد، فكيف لكلامها واهتمامها الشديد بـ"يحيى" أن يُفهم بهذا الشكل، وفي عقلها تقول: شفقة! مساعدة! أنت لا تفهم أيها الغبي!

أنا لا أشفق عليك بل أحبُك، أهتم بك وأفكّر فيك أكثر مما أفكّر بنفسي. أنا أريد أن أخرجك من جحيمك لتعيش معي في جنَّتي، وإذا لم أستطع إخراجك منه سأترك جنَّتي وأعيش معك في جحيمك.

جمعت "روان" نفسها لتقرر إخبار "يحيى" بمشاعرها الحقيقية اتجاهه.

- يحيى أنا ...

ليقاطعها يحيى :

- أنا لازم أطلع.. ورايا حاجات لازم أخلَّصها.

يزيل "يحيى" الغبار عن ملابسه ويذهب لبيته مغلقاً الباب بوجه "رَوان" التي تنظر له بكلِّ حزنٍ وخيبة أمل، أظنُّه سيتمنَّى لو بقي قليلاً معها فقط، وكم تمنَّت أنً يمهلها بضع ثوانٍ لكي تخبره بما تشعر، بالرغم من علمها أنَّها عندما تبوح بمشاعرها له لن تجد الرد الذي يرضيها، ولكنَّها شعرت أن هذه المرَّة يجب أن تبوح له بكلِّ شيء، ولكنَّها لا تعلم السبب الذي جعلها تود أن تبوح بكلِّ شيء في هذه اللحظة تحديداً.

(٢)

الحياة لا تعطي كلَّ شيء.. لكنَّها قد تأخذ كل شيء.

بعد يوم طويل أجهد "يحيى" لما دار فيه من أحداث، حاول يحيى أن ينام، لكّن يجبً أن تعرف أنَّ كل يوم يمرُّ عليه يوجد ثلاث أوجه لعذاب يحيى، الوجه الأول محاولته أن ينام والذي قد تستغرق محاولاته ساعات قبل أن يفوز على سحابة أفكاره السوداء التي لو تسرَّبت خارج عقله لغطَّت على الأرض كافة، وأعدك حينها أنَّك لن ترى الشمس إلَّا بعد أيَّام، أمَّا بالنسبة للوجه الثاني، فهو استيقاظه من النوم ومعرفته أن عذابه سيطول ليوم أخر، والوجه الثالث أنت تعرفه جيداً، ولكن ما لا يعرفه "يحيى" أن أوجه عذابه ستزيد وجهاً أخر بعد اليوم .

لم يحدث في عمارة "يحيى" شيء يستحق التذّكر قبلاً. مساء هذا اليوم تحديداً لن ينساه أحد من سكَّان العمارة، وكيف سينسونه؟

لكن النصيب الأكبر من الذي سيحدث سيكون من نصيب هذه

السيِّدة التي يبدو على وجهها الرضى فهي تشبه كثيراً أحد نعرفه أنا وأنت.. نعم هي والدة "رَوان"، وُلِدت روان محظوظة بأمِّها، كانت تصعد السيِّدة بهدوء مبتسمة لأنَّها تتخيَّل سعادة ابنتها عندما ترى أمها اشترت لها كل ما تشتهي نفسها، لم تستمر هذه الابتسامة طويلاً حتَّى تغيَّرت لنظرة صدمة، ومن منَّا لن يُصدم عندما يرى هذه الدماء على سلالم العمارة. صعدت السيِّدة بحذر شديد حتى رأت مصدر هذه الدماء، أعلى صوت في هذه اللحظةً كان صوت دقَّات قلبها كما لو أنَّه سيمزِّق نفسه من قوَّة نبضه، والأكيد أنَّك لو نظرت لهذه السيدة في تلك اللحظة سترى امرأة ماتت واقفة وعيناها المفتوحتان فقدتا بريق حياتهما، كيف لا وهي تنظر لأغلى ما لديها "رَوان" ساقطة من على السُلَّم مغطَّاة بدمائها وعنقها مكسور.

صرخت الأم صرخة اهتزَّت لها الأرض، فما بالك بالأحياء فوقها !

استيقظ يحيى فهو لم ينم من الأساس، ولكن هذه الصرخة نسفت سحابة أفكاره، وجعلته يتحرّك من مكانه بهدوء وهو يسمع أصوات سكَّان العمارة يرددون :

- لا حول ولا قوَّة إلَّا بالله.. لا إله إلَّا الله.. لا إله إلَّا الله.

يفتح يحيى الباب ويجد بعض من سكَّان العمارة مجتمعين أمام

منزله ويغطُّون الرؤية عليه والبعض الأخر يحاول إيقاظ والدة رَوان التي أُغمي عليها، فقام يحيى بمحاولة تخطِّي الناس ليرى ما يرونه ليجد "رَوان".

هنا توقَّف الوقت وسكتت الأفواه، لم يعد يحيى يسمع أيّ صوت، والمكان أصبح فارغاً لا يوجد غيره هو وما تبقَّى من "رَوان"، وفجأةً سمع في أذنه صوت "رَوان" يبدو أنَّه تذكَّر ما قالته له سابقاً.

- يحيى تعالَ معايا نلعب شويَّة عشان خاطري.

- إنت ما بتضحكش ليه على فكرة أنا حاسَّة إنِّي ضحكتك حلوة أوي بس جرِّب تضحك كدة.

- هو أنا مش صاحبتك ! احكيلي إيه اللي مضايقك بقى ؟

- على فكرة أنا هفضل جمبك على طول، وأي وقت هـ تحتجني فيه هـ تلاقيني .

هنا أدرك "يحيى" أنَّ طوق نجاته الوحيد تلاشى، وتأكَّد أنَّ الحياة لا تعطي كلَّ شيء، لكنَّها قد تأخذ كلَّ شيء.لم يذرف يحيى دمعة، ولكنَّه عاد إلى غرفته، ونام كما لم ينم قبلاً في حياته.

(٣)

يناير عام ٢٠٢٢

من باطنِ الأرض .. قد تجد طريقاً للقمر

غرفة أنيقة تدلُّ على غنى صاحبها بالرغم من قلَّة الأثاث، ألوانها في غاية الهدوء كفيلة أن تُشعرك براحة نفسية بمجرَّد النظر إليها، وهذا السرير الكبير الذي يكفي لثلاثة أفراد أو أكثر، ولكن لا أرى غير شخص واحد عليه، كان "يحيى" الفتى الذي أصبح في السابعة والعشرينً من عمره، لقد أصبح وسيماً جداً ملامحه محدَّدة كما لو أنَّه خرج من لوحة فنيَّة، وعيناه السوداوان الحادتان اللتان فقدتا بريقهما أثناء طفولته.

إنَّه نائم لا يتحرَّك ولا يصدر صوت، حتَّى يرن جرس منبه هاتفه، ليفتح عيناه كأنَّه كان ينتظره ليرن، لقد ذهب ليغسل وجهه لو شاهدته لظننت أنَّه يتجنّب النظر إلى وجهه في المرآة، ثمّ انتقل إلى خزانة ملابسه، سيرتدي اليوم بدلته السوداء التي يمتلك الكثير

منها بنفس الشكل، لقد كان صباحاً هادئاً أو هكذا ظن "يحيى" حتّى انتشر هذا الصوت الآتي من الشارع وتسلّل إلى غرفة يحيى.

- بالراحة على الحاجة.. الكنبة غالية

إنَّها "سعاد" سيدة في منتصف العمر لا يبدو عليها غنى أو فقر، لكن الأكيد أنَّها تتمتع بطابع همجي، يبدو أنَّها تنقل أثاث إلى منزلها الجديد في عمارة "يحيى"، وهًذا هو ابنها "محمود" طفل في غاية اللطافة والحيوية في التاسعة من عمره، يلعب على درج السلَّم بينما ينقل العمَّال الأثاث للبيت :

- بقولَّك بالرَّاحة إيه ما بتفهمش .. الحاجة هتقع.

يرد أحد العمال في غضب:

- بقولك إيه يا مدام.. إنتِ ليكي الحاجة توصل سليمة لحدِّ جوَّا بيتك.. ولو أي حاجة اتضررت شركة الشحن بتتحمّل تكاليفها.. فياريت تسيبي الرجَّالة تركّز في شـ...

يرن هاتف "سعاد" ليقطع الحوار، فتنظر سعاد لداخل حقيبتها وتخرج هاتفها وترى من المتصل، لقد كانت غاضبة قبل الاتصال، والآن أصبحت أكثر غضباً، فالمتصل زوجها.

- هرد على المكالمة دي وأفوقلك

تذهب "سعاد" لتقف جانباً، وتسحب ما أمكنها من الهواء وترد على هاتفها.

- إنتَ بترن عليَّا ليه دلوقتي؟

- إنتِ تاخدي ابني وتهربي يا بنت الكـ..

- امسك لسانك.. انسى إنَّك تشوفه تاني ريّح نفسك.. ومش هتعرف مكاني ولا مكانه مهما تدوّر.. وابقى تف في وشي لو عرفت لابنك طريق.

أغلقت "سعاد" الهاتف سريعاً حتى لا تعطي فرصة لزوجها السابق ليرد عليها.

نرى يحيى يخرج من باب العمارة ببدلته السوداء وينظر نظرة قصيرة إلى "سعاد" التي تقف بجانب الباب ذاهباً إلى سيارته (jeep)سوداء اللون.

***

كلِّية الطب البشري جامعة القاهرة

هذه "إنجي" تقف وحدها، تنظر حولها داخل حديقة الكلية يبدو أنَّها تبحث عن شخص ما، أياً كان من تبحث عنه، فهو محظوظ أنَّ فتاة بمثل جمالها وشَعرها الأسود الذي تخطَّى أسفل خصرها

وبشرتها البيضاء مثل الثلج تفتِّش عنه وسط الطلاب بلهفة هكذا. لقد تغيَّرت ملامحها يبدو أنَّها وجدته، نعم .. إنَّه هو واقفٌ بين الكثير من أصدقائه الفتيات والفِتيان يقول ما يقول ويضحك على ما يقوله الجميع، يبدو أنَّه يمتلك حسّاً عالياً من الفكاهة، أظنُّها ليست ميزته الوحيدة، فلديه ابتسامة ساحرة في غاية اللطافة والتي تزيّنها هذه الغمَّازة الواضحة على خدِّه. تنطلق "إنجي" اتجاهه غاضبة، وكيف لا تغضب وهو يقف مع هذا العدد من الفتيات، ليتفاجأ الشاب بـ"إنجي" خلفه تسحبه من ذراعه وسط أصدقائه قائلةً لهم :

– معلش يا جماعة هاخد مروان منكُّوا شويَّة

نعم.. إنَّه "مروان" الذي أصبح في الرابعة والعشرين من عمره، يدرس الآن في كلية الطب البشري، وهو في سنته السادسة، ما زالت "إنجي" تمسك بذراعه وتسحبه خلفها، ليسحب "مروان" ذراعه ويسألها:

– هتفضلي سحباني وراكي كتير..! تعالي نقف في أي حتَّة على جمب.

ترد عليه وهي غاضبة:

– ما تتكلمش مش عايزة أسمع صوتك.. واقف بتخونِّي وكمان

بتتكلم.. إيه البجاحة دي هااه إيه؟..

إيه ما بتردِّش ليه مش عارف ترد صح !

ينظر لها بتعجُّب:

– ما إنتِ قولتيلي مش عايزة أسمع صوتك

يُكمل "مروان" مبتسماً متغزِّلاً:

– وشكلك حلو أوي النهاردة.. فعجز لساني عن الرد بصراحة.

إنجي تبدو غير مهتمة:

– إنت كدة ثبتني يعني

تتغيَّر ملامحها فجأةً للإبتسام:

– بصراحة ثبتني فعلاً.. تباً لك.. أه صح إنت مش وراك سيكشن جراحة.. أموت وأعرف إنت بتحب السيكشن دي كدة ليه.. إنت ما بتجبش إمتياز غير فيه.. أوعى تكون بعت نفسك للدكتور مفيش حاجة مستاهلة يا حبيبي.

يضحك "مروان":

– ماشي حقك.. كويِّس إنِّك فكَّرتيني.. فاضلها عشر دقايق وتبدأ.. لازم أروح دلوقتي .

تقول له "إنجي" قبل أن يذهب:

- آه صح نسيت أقولَّك.. الكليَّة عاملة ندوة.. وجايبة فيها دكتور نفسي بيدرَّس في جامعة كامبريدج.. ماعرفش هيتكلَّم عن إيه بس هحضرها.. وإنت هتحضرها سجلت إسمك فيها غصباً عنك.

يرد "مروان":

- أوامرك مطاعة يا هانم.. يالا عشان هتأخَّر.. باي

"إنجي":

- باي

ذهب مسرعاً ليلحق محاضرته، ولكن لو نظر خلفه لرأى نظرة "إنجي" له كما لو أنها تمنَّت أن يتوقَّف الزمن لحظات أخرى لتبقى بجانبه تتأمَّل ابتسامته التي تملأ قلبها دفء، ولن تستطيع أن تسمع شيئاً داخل عقلها أثناء ابتعاده عنها إلَّا هذه الجملة :

"العيون مرآة الروح .. أنت الروح وعيوني المرآة "

***

شركة تسويق عالمية

مكتبٌ واسعٌ أنيق لأكبر شركة تسويق في الوطن العربي، مكتوب

على اللوحة أعلى المكتب " المدير التنفيذي – يحيى الناجي"، الذي يجلس على مكتبه وينظر لساعة يده، فيقرر التقاط هاتف الشركة ليطلب سكرتيرة مكتبه "منَّة".

– تعالي المكتب

يغلق الهاتف دون أن يسمع رد يبدو أنَّه منزعج قليلاً رغم ثبات معالم وجهه التي لا تتغيَّر. تدخل "منَّة" المكتب بعدما استأذنت الدخول ويبدو عليها التوتُّر، كما لو أنَّها طفل صغير سكب اللبن على الأريكة، وينتظر تأنيب والدته. تقف أمامه متسمِّرة يبدو أنَّها فعلت شيء ليس ببسيط، لا ينظر لها "يحيى" وإنَّما ينظر لبعض الأوراق التي بيده.

– حضرتك طلبتني !

– آه طلبتك .. معاد شغلك الساعة كام؟

– الساعة ٩ .. وأنا أسفة بجد بس الطريق كان زحمة أوي .. عشان كدة اتأخرت ربع ساعة. أسفة مش هتتكرَّر تاني .

يترك يحيى الأوراق وينظر لها نظرة ثاقبة ويدقق النظر على وجهها ثمَّ ينزل بعينه إلى أن يصل لحذائها، ينظر وكأنَّه يفتِّش عن شيء لا يعرفه إلَّا هو، يقطع "يحيى" نظراته :

- بتكدبي .

- نعم .. !

- في العادة مكياجك مظبوط .. بس الأيلاينر بتاعك والروج محطوطين بإستعجال .. ولبستي بسرعة عشان كدة تنية بنطلونك اليمين مختلفة عن الشمال .. من الأخر جيتي متأخَّر عشان صحيتي متأخَّر.. تقدري تروحي شغلك دلوقتي.

ظهر على وجه "منَّة" معالم الانبهار الشديد، وهي تلتف بظهرها لكي تخرج، يوقفها يحيى :

- آه.. مخصوملك يومين.

تتغيَّر ملامح "منَّة" للغضب، وترد على مضض :

- حاضر

تخرج "منَّة" لتجلس على مكتبها تتكلَّم بينها وبين نفسها، يبدو أن الخصم لم يأتِ على هواها. تدخل زميلتها في العمل "صفاء" عليها وتسألها :

- أستاذ يحيى في المكتب يا منَّة؟

- آه متنيِّل

تجلس "صفاء" على مكتب "منَّة" وتسألها وهي تبتسم هذه

الابتسامة السخيفة :

– شكله هزَّقك تاني صح؟ أموت وأعرف بتحبيه على إيه !

– بصِّي هو دايماً مهزَّقني وماسح بكرامتي الأرض.. بس قمر كدة وغامض في نفسه ما تفهملهوش حاجة.. دة غير إنُّه أصغر مدير شركة شوفته في حياتي.. وكمان شركة عالمية زي دي !

– مشاعرك ما بتتأثَّرش طيب بعد كل مرَّة بيهزَّقك فيها؟

– تصدَّقي وتؤمني بإيه !

– لا إله إلا الله.

تمد "منَّة" يدها لتصافح "صفاء":

– وشبكة العشرة دول.. ببقى عايزة أبوسه من بوئه كل مرَّة بيهزقني فيها.

– لا دة إنتي حالتك صعبة.. شوفتي هتخلِّيني أتهزَّق زيِّك دلوقتي.. عشان طالب منِّي ورق من امبارح لازم أدخلهوله.. يالَّا باي.

– باي ياختي.

(٤)

اليوم بدأ الحساب.. مستعد؟

يسكن "مروان" في شقَّة والدته ويسكن فوقه "يحيى"، لقد تغيَّرت الشقَّة كثيراً بل تبدو أنَّها شقَّة أخرى لقد جدَّدها بالكامل، ألوانها أصبحت مليئة بالحيوية، والأثاث أصبح عصري، لقد تخلَّص من الأثاث كلُّه، على أيِّ حال لم يكن سينفعه هذا الأثاث القديم البالي، يجلس مروان يشاهد فيلم على تلفازه الكبير، ليقطع متعته صوت جرس باب شقته، فيذهب ليفتح الباب، يبدو أنَّه عامل "ديلفري".

- أؤمرني !

- هو مش حضرتك أستاذ مروان ..!

- آه.. أنا أستاذ مروان.

- طيب الأوردر دة لحضرتك.

- بس أنا ما طلبتش أكل.. وبعدين بكام الأوردر دة ؟

– هو إلِّي طلبه الأستاذ يحيى.. ودفع تمنه بالفيزا.

– مش تقول كدة من الأول يا عم.. هات.

يأخذ "مروان" الطعام ويغلق الباب ويضعه على الطاولة، ويلتقط هاتفه ليتصل ب"يحيى" الذي يقود سيارته متجهاً إلى البيت في الطريق الذي يمشي فيه دائماً، كم يحب "يحيى" هذا الطريق الذي نادراً ما يرى أحد يمر منه ليلاً، فهو دائماً خالٍ في هذا الوقت، يقود سيارته مستمتعاً بهذا الهدوء، حتَّى تصله مكالمة "مروان"، يلتقط هاتفه ويرد :

– إيه يا مروان ؟

– إيه ياعم الأكل وصل .. كنت بشوفك فين.. أصلي أخوك ميِّت من الجوع.

– لا كُل أنت.. أنا هوصل متأخَّر عشان لسَّة طالع من الشركة.

– مع إنَّك ساكن فوقي.. بس دايماً بتسيبني أكُل لوحدي.. وبعدين أنا ما بحبِّش أكل الدليفري.. أنا بستنَّى يوم أجازتك عشان تعملي الأكل بنفسك.. مع إنَّك ما بتاكلش معايا برضه. ما وحشكش حضن أخوك يا أخي ؟

يحيى لم يكن يستمع جيداً إلى آخر ما قاله "مروان"، يبدو أنَّه رأى

شيئاً على الجانب الأخر من الطريق لفت انتباهه ليوقف سيارته على جانب الطريق، ويغلق على "مروان" دون قول شيء ويترك هاتفه في السيارة. يعبر الطريق ليرى رجل غارق في دمائه يتنفَّس بصعوبة كأنَّه يلتقط أنفاسه الأخيرة، يبدو أنَّه تعرَّض لسرقة وضرب بأداة حادَّة أكثر من مرَّة في مناطق متفرِّقة. ينظر "يحيى" له دون أن تتغيَّر ملامحه المتبدلة، ليتحرَّك باتجاه سيارته كما لو أنَّه لم يرَ شيء.

***

يفتح "يحيى" باب منزله يبدو عليه الإرهاق، يُلقي مفاتيحه على الطاولة، يخلع حذائه ويجلس على الأريكة، يعمُّ الصمت المكان، وبدون أي سابق إنذار، يعلو صوت "سعاد" الجارة الجديدة التي سكنت في نفس الدور الذي يسكنه "يحيى"، تبدو سعاد غاضبة جداً فهي تحاول امساك ابنها "محمود" الذي يجري هرباً منها وهو يبكي خوفاً من مصيره الذي سيحدث عند إمساكها به، والصوت الوحيد الذي تسمعه بجانب صوت "سعاد" هو صوت دقَّات قلب هذا الفتى الصغير، التي تزداد كلَّما سمعها وهي تقول بأعلى صوتها.

- مش هسيبااااك.. والله ما سيباك.

ليرد عليها مرتجفاً:

- خلاص والله مش هعمل كدة تاني.. مكنتش أقصد والله..

وقعت منِّي بالغلط.

يبدو أن الفريسة لم تعد تستطيع أن تُكمل جري لقد تَعِبت، ويبدو أنَّها أيقنت أنَّه لا مفر، لتستسلم إلى قدرها، لتنتهز "سعاد" لحظة الاستسلام وتضربه بكل ما أوتيت من قوة لقد وجدت أن يدها لن تكون كافية لتحقيق أكبر ألم ممكن، فاستعانت بحزامها، وبدأت تضرب فيه بالجزء المعدني منه، وهو يستخدم يده لصدِّ الضربات حتَّى سقط على الأرض، لكن يبدو أن هذا لم يكن كافياً، فاستمرَّت بضربه بقدمها، حتَّى تبوَّل على نفسه من شدَّة الألم، فقررت التوقُّف لتبرر ما فعلته قائلة :

- عشان تحرَّم بعد كدة.

لم يتحرَّك "يحيى" من على أريكته حتَّى هذه اللحظة، يرفع رأسه وينظر للسقف، يبدو أنَّ ما سمعه ذكَّره ب"أمِّه". لقد عاد بذكرياته لسنة ٢٠٠٧، في اللحظة التي كان "مروان" يختبئ في خزانة الملابس يبدو خائفاً يبكي ولكنه يضع يده على فمه حتَّى لا تسمعه والدته فتكتشف أين يختبأ، ولكن يبدو أنَّه لم يكن كافياً، لقد وجدته لتقول له مبتسمة :

- فاكر إنِّي مش هلاقيك.. تعالى بقى

يرد عليها وهو يبكي بشدَّة ومخاطه يسيل:

- والله ما أنا إللي شخبطت على الورق دة يحيى

ليشير إلى يحيى الذي كان واقفاً يشاهد إتهام أخيه الكاذب له، ولكن من يلوم هذا الطفل الصغير الذي يحاول أن ينجو من عذاب والدته، تتجه "زينب" إلى "يحيى" لتسأله بلهجة قوية :

- رد إنت إللي عملت كدة؟

ينظر "يحيى" في عين أخيه الصغير الخائف، ولقد فهم من عين أخيه أنَّه يتوسَّل له ليتلقَّى اللوم بدلاً منه، ليقرر "يحيى" أن يصمت ولا يرد على سؤالها، لقد زادها هذا غضبًا :

- يبقى إنت إللي عملت كدة.

تلتقط الخرطوم، وتبدأ بالضرب فيه، وهو يقف ثابت لا يتحرَّك ولا يصدر صوتاً ولكنه يكتفي بعضِّ شفتاه، فهو يعلم أنَّه عاجلاً أم آجلاً ستنتهي المعاناة.. لم يعلم أنَّ هذه المعاناة ستلازمه بقيَّة حياته.

***

حلَّ الصباح أخيراً لقد كان ليلاً طويلاً، "محمود" يستعد ليذهب إلى المدرسة، ونراه يجهِّز كل شيء بنفسه، يجري برجليه الصغيرتان على السلَّم حتَّى يصل لحافلة مدرسته الذي انتقل لها من فترة قريبة، ويصعد الحافلة ليمشي بخطوات متعجِّلة ليصل لأخر مقعد، يبدو

أنَّ زميله قرر مدَّ قدميه ليسقط "محمود" أرضاً، لتلتفت مشرفة الحافلة إلى "محمود".

- محمود إنت كويس.. حدِّ وقعك يا حبيبي؟

"محمود" ينظر لزميله الذي ينظر له نظرة تهديد، ليرد.

- لا يا ميس أنا وقعت لوحدي.

يحاول ترتيب ملابسه التي اتَّسخت، ويذهب ليجلس مكانه، لنرى زميله الذي يجلس بجواره يخرج أنبوبة قلمه الجاف، ليرش على ملابس "محمود" الحبر، فكان رد فعله.. عدم الفعل.

لقد أنهى "محمود" يومه الدراسي الذي لم يكن أفضل من مواقف الحافلة المدرسية، يصعد على السلَّم ويبدو عليه الإرهاق النفسي أكثر من الجسدي، لقد مرَّ بالكثير وظنَّ أنَّه لا يمكن أن يحدث شيء في هذا اليوم أسوء مما حدث، حسناً.. سنرى، يفتح باب الشقة ليشعر كما لو أنَّه فتح أبواب الجحيم، ليس خوفاً من والدته، ولكنَّه اشتمَّ رائحة لم يشتم مثلها قبلاً جعلته يمشي بحذر ويقول بصوتٍ مسموع.

- ماما.. ماما

لا يجد إجابة على ندائه ليذهب إلى غرفة نومها، ليجد جسدها

مغطًّى بالكامل بملائة، ويوجد حبال متناثرة عند أرجل السرير. يتحرّك "محمود" ويده ترتعش، ليمدَّها فيزيح الملاءة ليجد وجه أمِّه الذي يحافظ على ملامح الصدمة وعيناها وفمها مفتوحان على مصرعهما، كما لو أنَّ آخر ما رأته هو الشيطان نفسه، الرائحة التي اشتمها كانت رائحة الموت.

واليوم كان بداية أيَّام الحساب.

(٥)

لولا الظلام.. لَما وجِد النور

امتلأ المنزل بعناصر الشرطة وفريق التحقيق. نرى المصوِّر الجنائي يأخذ صور لجثَّة سعاد، لقد دخل أحد عناصر الشرطة إلى العمارة وهو آخر الواصلين، كما يقولون البطل دائماً يصل متأخراً، إنَّه المقدَّم "أدهم" المسئول عن هذه القضيَّة وهو رجل في السابعة والثلاثين من عمره، متوسِّط الهيئة، مهيب الطلَّة، يصعد على السلالم حتَّى يصل لباب شقَّة "سعاد"، يتفحَّص الباب جيداً ليتأكَّد من سلامته، وأنَّه لم يتم كسره. يذهب ليتفقَّد نوافذ الشقَّة لكنَّه يجدها سليمة ويستحيل أن يكون قد دخل منها القاتل، ثمَّ يذهب ليرى الجثَّة دون الانتباه لأحد، بالرغم من كثرة من حوله وتداخل أصواتهم.

أغمض "أدهم" عينيه لتتلاشى جميع هذه الأصوات، وعند فتح عينه اختفى جميع الموجودين، وعادت الشقَّة كما كانت قبل الجريمة، ليقف جانباً ويشاهد تسلسل أفكاره عن الجريمة أمام

عينيه كأنَّه يشاهد مشهد من فيلم سينمائي ؛

يرى "سعاد" تفتح الباب لشخص غير واضح وتبتسم له وتطلب دخوله للبيت، وعندما أعطتْ له ظهرها ضَربها بتمثال موجود بقرب الباب لتسقط أرضاً ويغلق الباب من خلفه، وعندما حاولت أن تصرخ ربط فمها بشريطٍ لاصق وإنهال عليها بالضرب حتى فقدت الوعي، ثمَّ جرَّها إلى السرير ليًخرج من حقيبته بعض الحبال ويربطها، ثمَّ صبَّ على وجهها الماء، لتفيق ويبدأ بتعذيبها، لقد استخدم الحزام لجلدها، ثمَّ أمسك سكِّيناً ليملأ جسدها بالجروح في أماكن متفرِّقة، يراها تتلوَّى من الألم ولا تستطيع أن تصدر صوتاً أو أن تدافع عن نفسها، لقد كانت تبكي بشدَّة، هذا أثاره أكثر فجعله يزيد من درجة عذابها فأخذ يحرق مناطق بجسدها، حتَّى لم تستطع أن تتحمَّل الألم أكثر. تحاول أن تقول شيئاً له من تحت اللاصق، يبدو أنَّها تترجَّاه ليقتلها وينهي عذابها، لكن يبدو أنَّه لا يحب تلقِّي الأوامر فزاد من الوتيرة للمرَّة الثانية، هذا العذاب لم يستمر سوى ساعة، لكن بالنسبة لها كل دقيقة كانت تمثِّل دهراً من الزمن، وعندما أشبع رغبته، أمسك وسادة ليخنقها وينهي حياتها، أؤكِّد لكم أنَّه لحظة قتلها كان يظن أنَّه أرحم أهل الأرض مقارنةً بها.

تمتد يد لتخرج "أدهم" من أرض عقله الباطن لأرض الواقع

مرةً أخرى، إنَّه الرائد "أيمن" مساعد "أدهم"، شاب في الثلاثين من عمره، مليء بالحيوية ومبتهج، لا يبدو مثل بقيِّة عناصر الشرطة. يلتفت "أدهم" ليجد هذا الوجه المبتسم الذي لا يناسب المكان المتواجدين به.

- أكيد حضرتك المقدَّم أدهم المنقول جديد ؟

- أه أنا.. ومش لازم تحط تكليف بينا.. قولي حضرة المقدم بس

يضحك "أيمن" ليرد عليه:

- إلي حضرتك تؤمر بيه.. أنا الرائد أيمن

- تشرَّفنا يا سيدي

- وأكيد مفيش بينا تكليف إحنا هنشتغل على القضيَّة دي سوا إن شاء الله. قولي سيادة الرائد بس

- مش حلوة

- كنت عارف على فكرة

أدهم يكمل نظر للجثَّة، يبدو أنَّ "أيمن" يريد قول شيء ولكن يبدو متردداً، لكنَّه يبدأ الحديث :

- أنا عرفت إن الست دي مطلَّقة.. وكانت مخبيَّة ابنها عن أبوه.. تفتكر جوزها هو الِّي قتلها؟

- الِّي قتل مش واحد طبيعي، دة غير إنها مش جريمة قتل عادية.. الشخص الِّي عمل كدة كان بيستمتع بإلِّي بيعمله.. وفي نفس الوقت الشخص دة مكنش غريب عن الضحيَّة.. عشان كدة مفيش علامات لأي مقاومة في الصالة، المقاومة بدأت لمَّا ...

- صحيت على السرير ولقت نفسها مربوطة.. ومن الِّي أنا شايفه فهو استخدم ٤ طرق لتعذيبها قبل قتلها.. استخدم إيده، وحزام، وسكِّينة عشان يخلق جروح، وولَّاعة عشان يكون حروق في جسمها.. المهم الجريمة دي كلها حصلت بعد خروج ابنها للمدرسة بوقت قصير أوي.. عشان القاتل يضمن لنفسه وقت قبل ما سكَّان العمارة يصحوا.

"أيمن" ينظر ويملأ وجهه علامات الانبهار من هذا التحليل الدقيق، ليسأل "أدهم" :

- قصد سيادتك اللي عمل كدة كان مراقب الست وابنها ؟

- بالظبط.. واحتمال كبير يكون واحد من السكَّان، عشان كدة عايزك تجمعهم لي عشان نبدأ تحقيق مع كل واحد.

- تمام

***

يجلس أدهم على مكتبه في قسمٍ الشرطة لكي يبدأ التحقيق، يطلب من العسكري إدخال أوَّل سكَّان العمارة.

يدخل رجل كبير في السن في أواخر الستينات من عمره يبدو على وجهه السماحة، يجلس على الكرسي ليبدأ أدهم استجوابه بطريقةٍ وديَّة.

- إزيَّك يا حاج محمد ؟

- في نعمة يا سعادة البيه.. الحمد لله.

- قولِّي بقى يا حاج.. تعرف إيه عن المجني عليها ؟

- أنا معرفش كتير عنها لأنَّها ساكنة بقالها يومين بس.. لكن من ساعة ما وصلت ودايماً صوتها العمارة كلَّها سمعاه.. وصوت ابنها بيصرخ منها وبيعيَّط.

- طيب ومحدِّش بينزل يشوف في إيه بيحصل؟

- لا.. إحنا بنبقى عارفين إنَّها بتضرب ابنها.. وإحنا متعودين على دة من زمان في العمارة. فمحدِّش بيعمل حاجة.

يبدو على "أدهم" التعجُّب، ليسأله:

- متعودين إزَّاي؟

- أصلي زمان كانت ساكنة عندنا واحدة كانت أسوء من الساكنة

الجديدة.. وكانت بتعمل في عيالها أكتر من كدة بكتير.. ولو حد إتدخَّل كانت بتعمل معاه مشاكل.

– وحصلَّها إيه الست دي هي وعيالها؟

– الست ماتت عشان أخدت جرعة غلط من الدوا.. ماتت منتحرة استغفر الله العظيم يعني.. وأكبر عيالها كان عنده ١٨ سنة لَمَّا عملت كدة.. ولحدِّ دلوقتي همَّا عايشين في العمارة.. يحيى ومروان.. يحيى اشترى الشقة الِّي فوق شقة مامته ومروان فضل قاعد في شقتها.

– طيب وليه ما شتراش شقَّة في حتَّة تانية؟

أكيد أي حد هيبقى عايز يبعد عن مكان بيفكَّره بذكريات صعبة !

– لا يا بيه معرفش بصراحة.. ويحيى محدِّش يقدر يفهمه، أنا مش فاكر إنِّي في مرَّة شوفته بيضحك. وأنا ساكن في العمارة من وهوَّ عنده ٧ سنين.. عكس أخوه مروان بيضحك ويهزَّر على طول.

– فهمت.. شكراً يا حاج محمد لو احتجتك هبقى أبعتلك حد.. تقدر تتفضَّل.

يخرج حاج "محمد" ليدخل بقيَّة الشهود واحداً تلو الآخر، ولكن

لا يبدو أنَّ أحداً أعطاه معلومة تفيده، ولكن كلام حاج "محمد" لم يفارق تفكيره طوال هذا التحقيق.

يدخل آخر سكَّان العمارة، إنَّه "يحيى"، ينظر له "أدهم" نظرة قوية، لقد علم من النظرة الأولى أن "أدهم" مختلف. يقف "أدهم" أمامه لا يتحرَّك.

- إتفضَّل أقعد يا أستاذ يحيى، إنت ساكن في نفس الدور إلِّي ساكنة فيه المجني عليها.. ما حسِّتش بأيِّ حركة غريبة في الدور الصبح..؟

ما سمعتش صوت صرخة مثلاً، أو ما شوفتش حدِّ طالع أوَّل مرَّة تشوفه في العمارة ؟

- لا.

يبدو أنَّ "أدهم" لم تعجبه هذه الإجابة القصيرة المكوَّنة من حرفين، لتتغيَّر نظرة عدم الرضى إلى ابتسامة بها شيء من الخبث :

- أه صح.. أنا عرفت إن المجني عليها كانت بتضرب ابنها كتير لدرجة إنِّ العمارة كلها كانت بتسمع صوتها وصوت ابنها.. ما فكَّرتش تروح في مرَّة تلحق ابنها من إلِّي بيحصلُّه بالذات إنِّي عرفت إنَّك مرِّيت بطفولة شبيهة لـ دي ؟

ظنَّ "أدهم" أنَّ هذا كفيل لاستفزاز "يحيى"، ليرى ردة فعله.

لم يظهر على "يحيى" أي تأثر ليرد:

– لا.. ما فكَّرتش

– مروان عكسك خالص.. عرفت منُّه إنُّه صاحب الولد من أوَّل يوم.

لا يعطي "يحيى" أي رد، وذلك ما جعل "أدهم" يُستفز، خطَّته قُلبت عليه، يتغيَّر وجه "أدهم" للجديَّة بعدما تلاشت ابتسامته :

– كنت فين من الساعة ٧ للساعة ٢ ؟

– نزلت من البيت ٨ للشغل اللي سايبه دلوقتي عشان يتحقق معايا كمتهم.

يرد "أدهم" باستهزاء:

– لا متهم إيه بعد الشر.. إحنا أسفين لو عطَّلناك تقدر تتفضَّل.

يقف "يحيى" ليتحرَّك اتجاه باب الخروج، وقبل أن يصل يسمع "أدهم" يقول له:

– أستاذ يحيى.. هنتقابل تاني أكيد.

لا يلتفت "يحيى" له، ولكنه يرد بصوتٍ مسموع:

– ما ظنِّش

يخرج "يحيى"، ويتصل "أدهم" ب"أيمن" ليطلب منه أن يأتي إلى مكتبه.

يدخل "أيمن".

– سعادتك طلبتني !

– أه.. عرفت إيه عن جوز الضحيَّة

– عنده حجَّة غياب قويَّة.. كان في شغله وقت الحادثة وكمان كاميرات شغله جايباه.. ووصل عشان يستلم ابنه.

– طيب تمام.. أنا عايزك تعرفلي كل حاجة عن يحيى الناجي.. من أوَّل ما إتولد لحدِّ دلوقتي. والأهم تعرفلي وصل شغله الساعة كام يوم الجريمة..! وتيجي تبلَّغني.

– هو حضرتك شاكك فيه ؟

– أه.. حاجة زيِّ كدة.

(٦)

عناءك.. في اختلافك.

يجلس "مروان" و" إنجي" في كافيه أمام بعضهم بجانب الكليَّة، لقد أنهت "إنجي" مشروبها، وتنظر لمشروب "مروان" الذي يلاحظ هذه النظرات.

تسأله إنجي مبتسمة:

– طعمه عامل إيه العصير دة؟

– طعمه مانجا.. وما تحاوليش

– أحاول إيه؟.. أنا مش عايزة أصلاً

"إنجي" تنظر مطولاً أمامها.

– لا حول ولا قوة إلا بالله.. لسَّة في بنات بتيجي الكليَّة بفساتين فوق الركبة !

يلتف "مروان" للخلف سريعاً.

- فين دة؟

ينظر ل"إنجي" ليجدها تشرب عصيره سريعاً.

- طعمه مانجا فعلاً إنت مكدبتش.. أه صح إنت ما جتش الكلية ليه إمبارح ؟

- حصلت جريمة قتل في العمارة.. وإتحقق مع السكان كلهم.

- إيه دة يعني دخلت القسم وقعدت مع ظابط؟ وقعد يسألك وكدة.. يا بن المحظوظة أنا نفسي أخش قسم أوي.. إحكيلي بس مين مات وحصل إيه..؟ كله كله

- تصدقي بالله.. أنا غلطان إنِّي بقولك على حاجة زيِّ دي يا تافهة.. ويلا بينا على المحاضرة بتاعتك دي عشان إتأخرنا وهبقى أحكيلك إلِّي حصل بعدها.

***

يدخل "مروان" و"إنجي" لقاعة المحاضرات والتي كانت مكتظَّة بالطلاب، يبدو أن المحاضرة قد بدأت منذ قليل، يجلسان في الخلف لينصتا إلى الدكتور "علي" طبيب نفسي في الخمسينات من عمره يرتدي نظَّارة وهو أصلع.

- كلنا أكيد شوفنا أو سمعنا عن حوادث قتل.. منها إلِّي قتل

مراته عشان بتخونه أو اللِّي قتل صاحبه عشان فلوس، أو اللي قتل عشان حد عرض عليه مبلغ كبير قصاد موت الشخص دة.. لكن قليل مننا أوي الِّي عاصر حوادث قتل لأجل المتعة.. طبعاً كله بيسأل نفسه هو في حدِّ ممكن يستمتع بقتل حد تاني ؟ ودي كانت رسالة الدكتوراه بتاعتي الِّي عملتها أَيَّام ما شعري كان نازل على كتفي.

يضحك الحضور.

– خلينا الأول نعرف مين الشخص ده؟ وإلِّي هنسميه سيكوباتي، بالعربي الشخصية المعادية للمجتمع. خلينا متفقين إنُّه شخص ربنا بيخلقه بمستوى ذكاء عالي جداً، ما بيعرفش يحب وما بيعرفش يندم أو يحس بالتعاطف. من الآخر ما عندهوش المشاعر الإنسانية الِّي عندنا.. طبعاً يقدر يمثِّل المشاعر دي لو هو عايز، أو ممكن ما يمثلهاش عادي جداً.. هو شخص شايف نفسه أعلى السلسلة الغذائية، بمعنى هل عمركم شوفتوا أسد حاسس بالندم بعد ما قتل غزالة ؟ طيب إيه هي الأسباب الِّي بتخلِّي الشخص سيكوباتي ؟ ممكن يكون سبب جيني، أو ممكن بسبب صدمة إتعرضلها بطفولته، أو بسبب نشأته في بيئة غير مستقرة بيسودها العنف الأسري. كل الحاجات دي بتخلق شخص مختل اجتماعياً.. لكن مش عقلياً.. عشان في ناس كتير بتخلط بين الأمرين.. أتمنَّى إنِّي كنت خفيف عليكم والمحاضرة عجبتكم.

- يصفّق الطلاب بحفاوة.

***

كل هذه المنازل الأسرية التي ذكرناها تتشابه في هذا الجو الكئيب الذي يشعرك بالقشعريرة، هذا الجو الذي لا يعرف للعاطفة عنوان، وهذا البيت لا يختلف كثيراً عن هذه البيوت. هذه "علياء" امرأة متزوجة لديها "نور" طفلة في العاشرة من عمرها في غاية الجمال والبراءة، تجلس على الأرض تلعب بهذه العرائس، بينما تتحدَّث والدتها في الهاتف، تبدو في غاية التوتر والعصبيَّة، تأكل أظافرها، وتهز قدمها بشكلٍ متكرر.

- أنا محتاجة فلوس عشان أدفع مصاريف مدرسة بنتك، وعشان أعرف أكمل أخر الشهر البيت ما فهوش أكل.

- معيش فلوس دلوقتي خالص إتصرفي.

- معكش فلوس إيه؟.. أومال مسافر ليه؟

إتصرف مش لاقيين نجيب أكل.. وهيمشوُّا بنتك من المدرسة.

تزيل "علياء" الهاتف من على أذنها، لترى أن زوجها قد أغلق الهاتف في وجهها، وتبدأ البكاء بصمت، كما لو أنَّها تكتم ما بداخلها حتَّى أصبح ما بداخلها مثل القنبلة الموقوتة التي تنتظر أن يضغط

عليها أحد ولو بالخطأ. تذهب إليها "نور".

- ماما أنا جعانة.

- روحي إتخمدي دلوقتي.

- لا أنا جعانة عايزة أكل دلوقتي.

- بقولك إمشي من وشِّي أحسنلك.

- إعمليلي أكل مليش دعوة.

تنظر لها "علياء" بعينيها الحمراوان من كثرة البكاء، وتبتسم لها ابتسامة خفيفة، لكنَّها لم تكن مثل الابتسامات اللطيفة، فهذه الابتسامة تحمل في طيَّاتها الكثير والكثير.

- عايزة تاكلي.. طيب تعالي معايا.

تمسك "علياء" يد "نور" متجهة إلى المطبخ، ثم تلتقط ملعقة لتبدأ تسخينها، و"نور" تشاهدها لكنَّها لا تفهم ما تفعله والدتها، وكيف تشك في سوء نوايا والدتها، كيف ستفهم أنَّ من يجب أن تحميها من هذا العالم هي أوَّل من يخون ثقتها. تمسك "علياء" ذراع "نور" وتضع عليه الملعقة الملتهبة، لتصرخ "نور" بأعلى صوتها، لن تنسى والدتها نظرة "نور" لها المليئة بالألم والصدمة، لن ينفع ندمها، لن يعود الزمن ليمحي هذه اللحظة، ولن يزيل هذا الأثر، أثر هذه

العلامة سواء من عقل أو جسد ابنتها.

***

يدخل "يحيى" للشركة منتظم في مواعيده كالعادة، يصعد على سلالم الشركة فالمصعد معطَّل، يلتفت لمكتب أحد موظَّفيه، ليجد فتاة صغيرة تلعب وعلى ذراعها ضمَّادات، يدخل للمكتب الذي كان فارغاً يبدو أنَّ صاحبة المكتب في الحمَّام، يقترب من الفتاة إنَّها "نور" تلعب كما لو لم يحدث شيء بالأمس، تنظر له "نور".

- إنت مين ؟

- أنا مدير الشركة.

- تشرفنا.. وأنا "نور".

تمد يدها لتسلِّم عليه كما شاهدت في الأفلام قبلاً، ليسلِّم عليها، ويمسك يدها ويزيل جزء صغير من الضمادة ليرى ما أسفلها ويجد الحرق.

- مين عملك كدة ؟

تنظر "نور" لما هو خلف "يحيى"، فتتغيَّر ملامحها للخوف والتوتر. ينظر "يحيى" خلفه ليجد "علياء" الموظفة التي بدأت في العمل عنده حديثاً تقف ورائه، ويبدو عليها التوتر الشديد.

– أنا أسفة يا أستاذ يحيى.. أنا اضطريت أجيبها معايا الشغل.. عشان مكنش في حدِّ يقعد معاها النهاردة.. بس مش هتتكرر تاني.

– خليها تقعد في كافيتريا الشركة لحدِّ ما تخلصي شغل.

يخرج يحيى من المكتب، ينظر خلفه ليلاحظ أنَّ "علياء" تمسك يد ابنتها بعنف وتسحبها ورائها بقوة.

يصل "يحيى" إلى مكتبه، وتقف "منَّة" عند اقتراب "يحيى".

– صباح الخير يا أستاذ يحيى

يكمل "يحيى" تقدّمه ولا يلتفت لها، فترد على نفسها.

– صباح النور يا منَّة.. شكلك حلو أوي النهاردة.

يدخل "يحيى" المكتب ويجلس، يفتِّش في الأدراج على بعض ورق العمل لكنَّه لا يجده، يتذكَّر أنَّه نسيه في منزله، يُخرج هاتفه ويتصل بـ "مروان".

– عايزك تطلع للبيت عندي.. هتلاقي على الترابيزة ورق هاته وتعالى الشركة.

***

تجلس سيدة عجوز في منزلها المتواضع في أحد الأحياء الشعبية، تشاهد التلفاز وتضحك، يقطع هذه المتعة صوت رن جرس الباب،

تذهب لتفتح الباب فتجد ابنتها "علياء" وحفيدتها "نور" واقفتان، يملأ وجه "نور" السعادة عند رؤيتها لجدَّتها.

تجري "نور" لحضن جدتها "نعمة":

- تيتة وحشتيني.

تحتضنها "نعمة" :

- وإنتِ كمان يا حبيبتي أوي.

تلاحظ "نعمة" الضمادات على يد "نور".

- إيه دة؟.. إيه اللِّي حصل؟

تنظر "نور" لأمها بخوف، فترد "علياء" عليها.

- وقعت على إيديها مياه سخنة يا ماما.. مش هتدخلينا ولا إيه؟

- لا طبعا يا حبيبتي اتفضلوا.

تدخلان المنزل وتجلسان على الأريكة تضع "نعمة" "نور" على حجرها، وتجلس بجوارهما "علياء".

تسأل "نعمة" بوديَّة وابتسامة:

- إيه سر الزيارة الحلوة دي ؟

ترد "علياء" الذي يبدو عليها الحزن الشديد:

- أنا طلَّعت نور من المدرسة عشان مش قادرة على مصاريفها.. وهودِّيها مدرسة حكومية بس ده هيحتاج وقت.. ومش هعرف أسيبها في البيت لوحدها.. ولا هعرف أخدها معايا الشغل.. لو ينفع تقعد عندك يومين لحدِّ ما أخلَّص موضوع مدرستها بس.

- أكيد طبعاً ينفع.. ممكن تسيبها على طول مش يومين بس كمان.

لم تعلم السيِّدة العجوز أنَّ بعض الكلمات تتحقق، ولكن بأسوأ شكل يمكن تصوُّره.

تتحرَّك "علياء" لتذهب إلى عملها تاركة ابنتها، وتكمل "نعمة" اللعب مع الفتاة الصغيرة.

(٧)

لكلِّ فعل .. رد فعل قد يكلِّفك حياتك.

ينزل الرائد "أيمن" من سيارته، ليقف أمام بوَّابة الشركة التي يعمل بها "يحيى"، يقترب من رجل الأمن "سيِّد" الجالس على مقعد يضع قدماً على قدم يشرب سيجارة بجوار البوابة.

- صباح الخير.

- صباح النور.. أؤمرني

- كنت عايز أسألك شوية أسئلة بس.

- وحضرتك مين بقى؟

- الرائد أيمن.. وإنت؟

لا يتأثَّر "سيِّد" ويبقى جالس مكانه:

- محسوبك سيِّد.. المحافظ على أمن واستقرار الشركة.

يضحك "أيمن" ضحكة خفيفة:

– لطيف إنت يا سيِّد.

– الله يخليك.

يرد عليه "أيمن" بعصبيَّة:

– قوم أقف ياض.. إنت هتصاحبني؟

يقف "سيِّد" يمسح الكرسي بيده:

– إتفضَّل يا باشا إرتاح.

يجلس "أيمن":

– قولِّي يا سيِّد بتسجلوا معاد دخول العربيات للشركة؟

– أه طبعاً.. بنكتبها في دفتر في الكابينة إلِّي عند البوابة.

– حلو أوي.. عاوزك تروح تشوفلي أستاذ يحيى وصل الشركة الساعة كام يوم الإتنين إلِّي فات.

– ثواني هشوفلك.

يذهب "سيِّد" ويبحث في الدفتر، ثم يخرج ل"أيمن" الذي ينتظره في الخارج.

– مكتوب إن أستاذ "يحيى" وصل الساعة ١٠

– هو متعوِّد يوصل الساعة كام؟

– هو على طول بيوصل الساعة ٨ ونص وعمره ما إتأخَّر قبل كدة.. دي كانت أوَّل مرَّة يتأخر فيها.

– دي إحلوِّت أوي.. تمام يا سيِّد كمِّل بقى إنت حفاظ على أمن وإستقرار الشركة.

***

تصعد "علياء" على الدرج، يبدو عليها الإرهاق، كم هي متشوِّقة للسرير تنتظر اللحظة التي سترتاح فيها من هذا اليوم الطويل، تفتح باب شقَّتها المظلمة، تذهب لتفتح إضاءة المنزل لتُفاجئ بضربة قويَّة على رأسها أفقدتها الوعي، تستيقظ لتجد يداها الاثنتان وقدميها مربوطتان بقوَّة، وتجد فمها تم تخييطه بإحكام شديد، ترى وجه الشخص الذي يفعل بها كل هذا مما يصيبها بصدمة وتبدأ بالبكاء الشديد وتحاول فكَّ نفسها لكنَّها لا تستطيع، يضحك هذا الشخص بقوَّة وباستمرار على محاولتها، فهو يعلم أنها لن تنجو. يُخرج سكِّينة من حقيبته، ويبدأ بتجريح جسدها، حبُّه في شكل الدماء وهي تسيل خارج الجسد لا مثيل له، ثمَّ يسحبها من شعرها ليدخلها إلى غرفة مغلقة يتركها قليلاً ليأتي بزجاجة من حقيبته. تفكِّر "علياء" لما يحدث لها كل هذا، ما الذي اقترفته؟ لكنَّها تفكِّر في ابنتها أيضاً، هي تعلم أنَّها أخطأت في حقِّها بسبب الضغوطات التي كانت تمرُّ

بها. كانت تنوي أن تطلب منها مسامحتها، كانت تنوي أن تشتري لها هديَّة لتحاول جعلها تنسى ما حدث، لكن لن يحدث هذا إلَّا في خيالها. يدخل عليها ليقطع أفكارها بزجاجة مليئة بالبنزين، ويبدأ بالسكب عليها، يبدو أنَّها علمت كيف ستنتهي حياتها، نظرة عيناها في هذه اللحظة جعلته يشعر بنشوة أكبر، كانت تئنُّ مثل الكلاب الجريحة، تنظر له كما لو أنَّها تترجَّاه لكي يُشفق عليها ويتركها، حسناً.. الآوان قد فات.

أشعل الولَّاعة لتحترق، لم يرد أن يفوِّت المشهد فجلس يشاهدها، وهي تصرخ هذه الصرخة المكتومة، لحُسن حظِّه أن الدور التي تسكن فيه لا يسكن فيه غيرها، ظلَّت تتلوَّى وتصرخ، لو ارتدت صرختها لداخلها لانفجرت أعضاءها الداخلية حتَّى توقفت عن الحركة، لقد ماتت، لن يستطيع أحد أن يحدد معالم وجهها، كيف سيحدده ولم يبقَ من ملامحها شيئاً واضحاً، لو هناك شيء واحد يؤمن به هذا الشخص فهو أنَّ لكلِّ فعل .. رد فعل، فيقرر أن يكون هو دائماً ردُّ الفعل الذي ينتهي عنده كل شيء.

***

تُحضر "نعمة" الإفطار ل"نور"، تأكل "نور" بشراهة، تمسح جدتها بَيدها على رأسها، ثمَّ تتركها وتذهب لتتصل ب"علياء"،

لقد اتصلت أكثر من مرَّة لكن لا يوجد أي رد، وهذه أوَّل مرَّة لا ترد "علياء" على هاتفها، يبدو على "نعمة" التوتر، يبدو أنَّ هذه أحد المواقف التي يشعر بها قلب الأم بكلِّ شيء.

ترن "نعمة" على رقم الشركة التي تعمل بها ابنتها.

- أنا كنت عايزة أكلِّم علياء عبد الواحد موظفة عندكم في الشركة !

- خليكي معايا ثانية واحدة بس.. هي للأسف مجتش الشغل النهاردة

- مجتش إزَّاي؟.. طيب شكراً

تذهب "نعمة" لجارتها لكي تطلب منها أن تهتم ب"نور" إلى حين عودتها، ثمَّ تغادر.

تصل "نعمة" لمنزل ابنتها ترن الجرس كثيراً ولكن لا يوجد رد، تتذكَّر أنَّ معها نسخة من مفتاح المنزل، تجد بعض الدماء على الأرض، تتحرَّك كما لو أنَّها تعرف الإجابة قبل أن ترى السؤال، تدخل الغرفة التي تقود إليها الدماء، وتفتح الباب لتجد ابنتها محروقة بالكامل، تنظر لها لكنها لا تستوعب ما ترى، الكلمات تأبى أن تخرج من فمها، فتصرخ بدون صوت، حتَّى تسقط أرضاً بجانب ابنتها، حُرِق جسد الابنة، وحُرِقت روح الأم.

***

هذا المكان هو الأسوأ، لا أحد يرغب بالتواجد فيه حيًّا أو ميتاً، إنَّها المشرحة، المكان الذي لا تشم فيه إلَّا رائحة الموت. يقف "أدهم" مع الطبيب المسئول عن ملف "علياء"، ثمَّ يطلب منه الدخول ليرى الجثَّة بنفسه.

يفتح له أحد الممرضين الثلاجة، ينظر لها ويركِّز في كل العلامات والجروح على جسدها.

يدخل عليه أيمن.

- أنا كنت بدوَّر على سعتك.

- خير لقيت حاجة؟

- أه مش هتصدَّق لقيت إيه.

- ما تقول يا أيمن.. إنت هتنقطني.

- علياء تبقى موظَّفة عند يحيى الناجي.

- كدة صح.. لمَّا شوفت الضحيَّة كنت متأكد إنِّي في تشابه بين الجريمتين.. وإنت أكدتلي الشك دة

- وبالنسبة لسكَّان العمارة قالوا إنِّهم مسمعوش أي حاجة في يوم الجريمة، بالعكس كان بيت علياء هادي على غير العادة.

- مش فاهم يعني إيه على غير العادة ؟

- أصلهم بيقولوا إنِّي دايماً صوتها عالي وعلى طول كنا بنسمعها بتصوَّت من بنتها الصغيرة.. إلِّي كانت بتضربها ساعات كتير.

- كدة الجريمتين بينهم حاجتين مشتركين.. عيالهم إلِّي بيتم تعنيفهم.. ويحيى.. يحيى الناجي.

(٨)

اضحك وسيضحك العالم معك.. ابكي وستبكي وحيداً.

يوم جديد بصباح جديد، يبدو على هذه الشَّابة الحماسة، وهي في منتصف العشرينات من عمرها، اسمها "شمس"، وهي حقاً تبدو مثل الشمس صعب ألَّا تلاحظها، فكيف ترى هذا الجمال ولا تلاحظه أو أن تشيح نظرك عنها، فعيناها التي تلونتا بلون الذهب، تَسحر من ينظر لهما في كلِّ مرَّة. تعمل صحفيَّة في جريدة مشهورة جداً، تجلس في مقهى وأمامها هذا الطفل المشرَّد الذي يرتدي ملابس بالية، ووجهه الذي غُطي بقاذورات الأرصفة، وهذه علامات الجروح التي تملأ وجهه، يبدو صغيراً جداً على كل هذا، فهو في الثانية عشر من عمره.

تبتسم "شمس" في وجهه لتبدأ حديثها:

- أنا مبسوطة أوي إنَّك وافقت تقعد معايا نتكلِّم شوية يا مصطفى.. قولِّي تشرب إيه بقى ؟

- أشرب إيه يا حبيبتي.. إنتي بتفسَّحي إبن أختك.. أنا عايز أكل.

- نفسك تاكل إيه طيب ؟

- نص فرخة بسلطاتها.

- إنت تؤمر.

- إيه دة بالسهولة دي.. طيب أنا عايز كمان نص لتر حاجة ساقعة بس دايت.

- واضح إنك بتحب تفضل Fit.

- إيه فِس دي.. أنا أه متشرد بس ما بعملهاش قدَّام حد.

- أنا أسفة ممكن نبدأ بقى؟

- يلا

تخرج "شمس" هاتفها وتبدأ بتسجيل الصوت.

- العلامة إلِّي على وشك دي.. مين عملهالك؟

- إلِّي عملهالي أبويا.. عشان سرقت من جيبه ١٠ جنيه.. ونزلت جبت بيها لأختي أكل عشان كانت جعانة.

- طيب ومحدِّش دافع عنك.. مامتك مثلاً ؟

- لا.. دي كملت عليَّا.. وما سبتنيش غير وأنا واقع على الأرض مش عارف أقف.. قالتلي أبوك قالي إنِّي معرفتش أربِّي وإنِّي مربِّية حرامي.

- هربت من البيت ليه؟

يبدو أنَّ "مصطفى" يحاول أن يكتم دموعه.

- هربت منه لمَّا أبويا عورني في وشِّي وأمِّي كملت عليَّا.. هربت عشان ما ستحملتش ذلهم ليَّا.. وإني كل حاجة بيعملوهالي صدقة منهم وجدعنة.. كأنّي أنا إلِّي إختَرتهم يبقوا أبويا وأمي.. بس عارفة.. مفيش يوم غير وأفكر في أختي.. وإلِّي بيعملوه فيها.. أنا إلي كنت بدافع عنها دايماً وباخد عنها الضرب.. مع إنِّي لسَّة عندها ٩ سنين بس مش راحمنها.. وأنا سيبتها لوحدها وهربت.. بس مكنش ينفع أخدها تعيش معايا في الشارع.

تأثَّرت "شمس" بكلماته جداً:

- طيب ليه متقعدش إنت وهي في ملجأ للأطفال؟

أنا كنت دايماً بشوفك بتجري أول ما بتشوف ظابط.. على فكرة مش هيسجنك.. دة هيودِّيك ملجأ.. في كل إلِّي تحتاجه.

- كل إلِّي أحتاجه؟.. حضرتك أنا هربان من ملجأين قبل كدة..

أنا لو إتذليت في بيت أبويا قيراط.. فأنا إتذليت في الملجأ أربعة وعشرين قيراط.

يقطع هذا الحديث رن هاتف "شمس" لتستأذن من مصطفى بعض الوقت لترد على المكالمة.

– أيوة يا أيمن.

– بقولِّك إيه ما تيجي أخرجك النهاردة بقالنا ياما متقبلناش.

– لا النهاردة مش هينفع خالص.

– على فكرة يا شمس أنا خطيبك لو مش واخدة بالك.. وعايز أشوفك.

– طيب بص خليها بكرة بعد العصر كدة.

– تمام باي.

– باي.

تعود "شمس" لتجلس مع "مصطفى".

– وقفنا لحدِّ فين ؟

***

تدخل "صفاء" مكتب "منَّة" الذي يقع خارج مكتب "يحيى"

مباشرةً، ويبدو على وجه "صفاء" الحزن الشديد.

- شوفتي المصيبة إلِّي حصلت؟

- مصيبة إيه؟

- علياء لقوها محروقة في بيتها.. وبيقولوا إنَّها جريمة قتل.

تبدو الصدمة على وجه "منَّة" التي تضع يدها على فمها، وتنظر لباب المكتب تجد "يحيى" واقف يبدو أنَّه كان يستمع لهذه المحادثة، ويكمل سيره إلى مكتبه.

***

يجلس الرائد "أيمن" منتظر وصول "شمس"، ينظر لساعته يبدو أنَّها تأخَّرت عليه كثيراً، تأتي من ورائه "شمس" التي تبدو مرهقة.

- إتأخرت عليك؟

- لا خالص.. ولو إتأخرتي كنت هستناكي عادي.

ينظر "أيمن" ل"شمس" ويطيل النظر إليها.

- وحشتيني على فكرة.

- وإنت كمان والله.

- باين.. إنتِ عارفة بقالنا قد إيه متقبلناش ؟

- ما إنتَ عارف ظروف الشغل يا أيمن.

- هو إنتِ بس إلِّي بتشتغلي ما أنا كمان بشتغل.

تنظر "شمس" لساعتها.

- مأخرك عن حاجة ولا إيه؟.. لو وراكي حاجة إتفضلي.

- إيه يا أيمن إنت جاية معاك بخناق و لا إيه؟

- بصِّي يا شمس أنا ورايا قضيّة واحد مختل عمَّال يقتل في الستات.. وورايا تحقيقات وحاجات بالهبل.. ومع ذلك مببصش في ساعتي كأنِّي متأخر عن حاجة.

تلمع عين "شمس" وتنظر ل"أيمن" باهتمام شديد، حتَّى أنَّها نسيت ما كانت تنظر لأجله على ساعتها.

- وإتصلت بيكِ كمان عشان نقضي وقت مع بعض.. عشان أنا خطيبك وليَّا حق عليكي.

- إستنى كدة بس.. إيه حوار المختل دة؟

- بصِّي أنا بكلِّمك في إيه.. وإنتِ بتكلميني في إيه؟

- عشان خاطري إحكيلي.. عشان خاطري.

كانت تعلم أنَّه عندما تطلب منه شيء بهذه الطريقة لا يستطيع

أن يرفضه لها، مهما كان هذا الطلب.

- هحكيلك.. بس إوعديني اللي هقوله محدِّش يعرفه عشان دي معلومات سرية.

- عيب عليك مستحيل أقول لحد.. أنا بحب الحكاوي دي مش أكتر يعني.

***

نحن الآن في مطبعة الصحف، يبدو أنَّ هناك خبراً جديداً جاهزاً للطباعة، الماكينات تعمل بأقصى سرعتها، وعنوان الخبر الذي يُطبع مكتوب عليه "مختل يقتل الأمهات فقط"، ومكتوب أسفله بقلم" شمس الدين".

تُأخذ الجرائد في شاحنة ليتم توزيعها، لتمر بجوار مقهى يتواجد به بعض العجائز والرجال والشباب الذين يحملون هواتفهم ويقرأون الخبر على الإنترنت، والعجائز الذين يقرأون الخبر على الجرائد، وهؤلاء الرجال الذين يشاهدون التلفاز وكل أنظارهم على هذا المذيع، يبدأ المذيع في التحدُّث من الاستوديو الخاص به.

- في خبر كتبته صحيفة مشهورة.. الخبر بيقول إن في شخص مختل بيقتل السيدات، الأمهات تحديداً ومن مصادرنا عرفنا إنُّه قتل اتنين لحد دلوقتي والاتنين كانه بيعنفوا ولادهم، طبعاً الموضوع في

شيء مضحك، إحنا بنخوِّف ولادنا ب أبو رجل مسلوخة، دلوقتي ولادنا هيخوفونا بالقاتل المختل دة.. خلينا نستقبل مكالمات ونشوف رأي الناس.. معانا أستاذ محمد إتفضَّل.

– أولاً أهلاً بحضرتك.

– أهلاً بيك.. إيه رأيك في الخبر دة؟

– أنا شايف إنه إنسان مريض سيكوباتي بالذات بعد ما عرفت الطرق إلِّي قتل بيها ضحاياه.. وأتمنى الشرطة تقبض عليه في أسرع وقت ويتعدم.. لأنُّه كان سبب إنِّي الأطفال دي تتيِّتم.

– شكراً لمدخلتك.. وأنا أضم صوتي لصوتك.. معانا مداخلة تانية من أستاذ عبدالرحمن.. ألو.

– أتمنى محدِّش يقطع الصوت عليَّا.. وتسيبني أقول رأيي بصراحة.

– إحنا مبنقطعش الصوت على حد.. إتفضل.

– أنا كنت أتمنى شخص زيِّ دة كان يبقى موجود أيَّام ما كنت طفل.. عشان يخلصني من أمِّي وإللي كانت بتعمله فيَّا.. وكانت سبب في إني بزور دكتور أمراض نفسية لحدِّ دلوقتي.. ومش أنا بس إلِّي كدة في ناس كتير زيي بتتمنى نفس الحاجة.. بس محدِّش

إتربَّى في حضن أمه وشاف حنيِّتها وحبها وخوفها عليه هيفهم إلِّي أنا بقوله دة.. اللي عاش زيي أنا وناس كتير همَّا بس إلِّي هيفهوا.. وشكراً.

يبدو على المذيع التعجُّب من كلام المتصل.

– بصراحة أنا مش لاقي رد.. معانا مداخلة تانية ونقول ألو.

(٩)

لم يُخلق هكذا.. بل غيَّرته الدنيا.

يجلس "أدهم" على مكتبه في قسم الشرطة، يقرأ الملف الخاص بالجريمتين، ويدقق فيهم، يقطع تفكيره، العسكري.

- دكتور علي واقف برَّة سعتك

- دخَّله

- إتفضل يا دكتور

يدخل دكتور "علي" الذي ألقى محاضرة منذ أيام قليلة في كلية الطب، يجلس ويرحِّب به "أدهم".

- تشرب إيه يا دوك ؟

- ولا حاجة شكراً جداً

- أنا أسف.. أنا عارف إني وراك مشاغل كتير.. بس مفيش حدِّ هيعرف يساعدني في القضيَّة دي غيرك.

- وأنا دايماً في الخدمة.. قولي أقدر أساعدك بإيه ؟

- أنا عارف إنِّي مجال دراستك عن الناس المختلَّة.

- قصدك السيكوباتيين ؟

- بالظبط همَّا دول.. أنا عايز أعرف كل إلِّي محتاج أعرفه عنهم.. نقط ضعفهم مثلاً.

- أظن إنِّي أهم نقطة ضعف ودي بتبقى موجودة عند معظمهم لو مكنش كلهم.. هي الاستعراض.. بمعنى إنِّي الشخص السيكوباتي بيحب كله يعرف جرايمه.. كلُّه يشهد على ذكائه وحيلته الواسعة.. كلُّه يتكلَّم عن طريقة قتله لضحاياه.. لو يطول ينشر جرايمه على التلفزيون ويصوَّر إلِّي بيعمله هيعمل كدة.. معظم السيكوباتيين كانوا بيكتشفوا لنفس السبب.. في إلِّي كان بيبعت جوابات لأهل الضحايا.. في إلِّي كان بيسيب أدلَّة عشان يستهزء بالبوليس وكلُّه يتكلم عنه.. ولازم تاخد بالك بالذات من الأشخاص إلِّي زيِّ دي.. لأنهم ما عندهمش ذرَّة رحمة اتجاه أيِّ كائن حي سواء إنسان أو حيوان.

يبدي "أدهم" اهتمام شديد جداً لما يسمعه.

- كمِّل يا دكتور.. كمِّل.

***

يجلس "أيمن" في مكتبه ويبدو عليه الغضب، وهو مُمسك هاتفه، فهو يحاول الاتصال ب"شمس" لكنَّها لا تجيب، وأخيراً تقرر الرد في النهاية.

- ألو.

- أنا عمَّال أرن عليكي من إمبارح.. مبترديش ليه ؟

- بصراحة خايفة منك.. عشان خاطري متزعلش منِّي.. أصلي الخبر زغلل عنيَّا بصراحة معرفتش أمسك نفسي.

- خلاص مش متضايق.. بس ياريت ملكيش دعوة بالقضيَّة دي تاني.. عملتي الخبر بتاعك خلاص.. سيبي الباقي علينا.. عشان عارفك بتحبي تحشري مناخيرك.

- عيب عليك.. خلاص أنا كتبت الخبر مليش دعوة بقى بإلِّي هيحصل بعدين

- لمَّا نشوف.. يالا باي

- باي

"شمس" تخرج من سيارتها التي ركنتها بجوار عمارة يحيى وتتجه ناحية حارس العمارة.

- إزيَّك يا حاج

***

"أدهم" في مكتبه يِرتاح على الأريكة السوداء التي في الطرف الأخر من مكتبه، يفكر، ويحاول ربط جميع الخيوط ببعضها، لكنَّه مهما أطال التفكير، لا يجد إجابة لكلِّ تساؤلاته إلَّا وتوقَّفت عند يحيى الناجي، أصبح "يحيى" هو الضبابة السوداء التي تغطِّي على أفكار "أدهم"، فهو لا يستطيع أن يتعدَّاها ولا يستطيع أن يرى ما خلفها، يقطع تفكيره صوت طرق الباب، ليقوم بتعديل جلسته.

- أدخل.

"أيمن" يبدو أن لديه بعض الأخبار.

- عملت التحرِّيات إلِّي سعتك طلبتها منِّي.

- وطلعت بحاجة؟

- بحاجتين.. يحيى يوم جريمة سعاد راح الشغل متأخر ساعة ونص.. حاولت أعرف سبب التأخر بس مقدرتش.. بس هدوَّر تاني لحد ما أتأكد من سبب تأخره.

- والحاجة التانية؟

- روحت دوَّرت في تاريخه والسجل المدني.. عرفت معلومة

غريبة جداً.. يحيى عنده أخت.

- عنده أخت؟

يقود "يحيى" سيارته متجهاً للشركة، ليجد سيارة تلاحقه، وهي خلفه مباشرةً، يضغط "يحيى" على المكابح بقوَّة، تصطدم به السيارة التي تسير خلفه، ينزل يحيى من سيارته، يقترب من السيارة التي اصطدمت به، ليجد "شمس" هي التي تراقب تحركاته، تكلِّمه بعصبيَّة بعدما ارتطمت رأسها في عجلة القيادة مما أدَّى لإصابتها إصابة طفيفة.

- إنت متخلِّف.. في حدِّ يقف فجأة كدة يا حيوان إنت ؟

ينظر لها "يحيى" دون قول شيء، ويعود لسيارته، لينطلق بها لوجهته.

***

يصعد "أدهم" على سلالم قسم الشرطة ليذهب إلى مكتبه ويرى "أيمن" يمشي حاملاً هاتفه لا يشيح بنظره عنه، فيوقفه "أدهم".

- إيه يا بني؟.. مالك ماشي سرحان كدة؟

- لا أصل في فيديو منتشر أوي كدة على النت.. فكنت بشوفه.

- طيب ورِّيني كدة.

يعطيه "أيمن" الهاتف، ليرى "أدهم" فيديو لطفل يبدو في الرابعة عشر من عمره، يبكي بشدَّة، ويقول:

- أنا عامل الفيديو دة.. عشان مش عايز أرجع لأمِّي تاني.. بعد ما بابا طلَّقها أخدني معاه.. وهي رفعت قضيَّة عشان تاخدني، بس أنا مش عايز أروحلها.. هي عصبيَّة أوي وعلى طول بتضربني لسبب ومن غير سبب.. أنا لو رجعتلها هموِّت نفسي.

يشاهد "أدهم" هذا الفيديو، ويتذكَّر كلام الدكتور "علي" له، وهو يقول:

- بيحب الإستعراض.. بيحب الناس تشوف جرايمه.

ليردد "أدهم" الكلام مبتسماً:

- بيحب الإستعراض.. وبيحب الناس تشوف جرايمه.

يتعجَب "أيمن" من هذا الكلام:

- قصد سعتك إيه؟

- متاخدش في بالك.

***

نرى سيارة منتظرة خارج شركة "يحيى"، تخرج "منَّة" من بوَّابة الشركة، تفتح باب السيَّارة وتدخل فيها كان "أدهم" هو من

ينتظرها.

– هو سعتك عايز إيه؟.. مش حققت معايا وقولتلك كل إلِّي أعرفه.

– المرَّة دي أنا مش جايبك أحقق معاكي.. بصِّي أنا بقيت شبه متأكِّد إنِّي الِّي ورا جرايم القتل دي.. يحيى مديرك في الشغل.

– مستحيل.. لا ممكن.. سعتك خوفتني دلوقتي.

– أنا مش بقولك كدة عشان تخافي وتسيبي الشغل.

– أسيب الشغل إيه.. أنا فاضلِّي أسبوع وأقبض.

– إنتِ صح.. المهم.. أنا عايزك تخلِّي يحيى يشوف فيديو الطفل إلِّي بعتهولك على الواتساب.. وإياكي تخليه يشك فيكي.. ولمَّا تتأكدي إنه شافه، قوليلي في ساعتها.

– وهيحصل إيه لو شافه يعني؟

– نفِّذي إلِّي قولتلك عليه من غير أسئلة

– حاضر.

***

يشاهد "مروان" التلفاز في منزله، ويأكل من الأكل الذي تركه له

"يحيى"، يدق جرس الباب، يقوم بفتح الباب، فيجد فتاة جميلة أمامه مربوط على رأسها رباط طبي دليل على إصابتها، يبتسم قائلاً:

- أيوة؟

- أنا شمس.

- وأنا مروان.

- أيوة أنا عارفاك.. أنا الصحفية إلّي كتبت مقالة عن المختل إلِّي بيقتل الستات وكان منهم ست كانت ساكنة هنا في العمارة.

- أولاً أنا مبقراش جرايد.. ثانياً المفروض أساعدك إزَّاي؟

- هو إحنا هنفضل واقفين على الباب كدة.

- لا أكيد.. إتفضلي.

تدخل "شمس" كما لو أنَّها تدخل لمنزلها، وتجلس على الأريكة.

- كنت عايزة أسألك شوية أسئلة عن يحيى!

يبدو على "مروان" التعجُّب الشديد:

- يحيى؟.. ويحيى ماله بموضوعك أصلاً؟

- إنت متعرفش؟.. يحيى يبقى المشتبه به الأول في القضيَّة دي.

يرد "مروان" بعصبيَّة:

– إنتِ شكلك هبلة.

– إهدى بس.. أنا بقولَّك المعلومات إلِّي أنا أعرفها.. مش أنا إلي اشتبهت فيه يعني.

– طيب.. وأنا بقولِّك مستحيل يحيى يكون هو الشخص إلِّي بتدوَّري عليه.. يحيى أخويا.. وأنا أعرفه أكتر من أيِّ حدِّ تاني.. هو أه هادي.. وغامض.. بس دة مش معناه إنه قاتل.

– طيب أنا عايزة أعر....

يقاطعها "مروان":

– لا بصِّي.. أنا مش هجاوب على حاجة تاني.. وياريت تتفضلي عشان ورايا كليَّة.

يقف "مروان" ليوصلها إلى الباب، وعندما يعود ليجلس يجد أنها تركت شيء على الأريكة.

***

يراجع "يحيى" بعض الأوراق في مكتبه، يرن هاتف الشركة، ليرد:

– أستاذ أدهم برَّة وعايز يقابل حضرتك.

– دخَّليه

يغلق السماعة ويكمل قراءة الأوراق، يدخل "أدهم"، فلا يلتفت له "يحيى"، يجلس ويشاهد المكان من حوله.

- لا بس المكان فخم أوي إتصدَّق.. قولتلك هنتقابل تاني.. المهم أنا قولت أجيلك بنفسي بدل ما أحقق معاك في القسم.. وبصراحة أنا عارف إنِّي مش هطلع منَّك بحاجة.. بس الشركة حلوة أوي.

ينظر له "يحيى":

- كويِّس إنَّك عارف إنِّي معنديش حاجة أقولها.

- أه كويس فعلاً.. بقولك صح يوم جريمة جارتك سعاد.. إتأخرت ساعة ونص عن الشغل ليه؟

- مش فاكر.

- أنا قولت كدة برضه.. عارف أنا دايماً كنت بستغرب إزَّاي إنت هادي كدة بالرغم من كلِّ إلي بيحصل حواليك.. بس لمَّا سمعت إلِّي حصل لأختك إلِّي أكبر مَنك.. عذرتك.

لأوَّل مرَّة يمكنك أن تقرأ شعور "يحيى" من عيناه، هذا الشعور بالغضب الذي لم نره قبلاً، إنَّه يكتم غضبه ويحاول ألَّا يخرجه بأيِّ شكل، كما لو أنَّه يحاول ترويض وحش لو تركه لفتك بكلِّ

الموجودين.

- يالا أنا لازم أمشي بقى ورايا شغل.. أصلي مش ههدى غير لمَّا ألاقي المختل إلِّي بيعمل كدة وأعدمه.

يخرج "أدهم" من المكتب، وهو يبتسم هذه الإبتسامة المليئة بالخبث، ليترك "يحيى" يتذكَّر " أخته التي كانت سبباً في تغيِّر كل شيء، كانت سبباً لما وصلت إليه شخصية "يحيى" الآن من تبلُّد، وحزنٍ دائم.

***

يناير ٢٠٠١م

منزل كبير جداً في غاية الأناقة، يدل على حياة مستقرة مادياً إلى حدٍ كبير، نرى هذه الطفلة التي تبلغ العاشرة من عمرها، تبدو في غاية اللطف تمتلك شعراً أصفر اللون وعينان زرقاوان، لو نظرت إليهما لشعرت أنك تنظر للمحيط، وتغرق في جماله الآخَّاذ، تضم أخيها الصغير صاحب الخمس سنوات الذي يبكي بشدّة لصدرها، وتقبِّل الجزء الذي ضُرب فيه على وجهه.

- متعيطش عشان خاطري.. أنا إلِّي غلطانة ملحقتش أحوش عنك.

تمسح دموع أخيها ودموعها.

- عارف يا يحيى.. أنا لمَّا أكبر وأبقى دكتورة.. ومعايا فلوس كتير.. هنهرب أنا وإنت ومروان.. ومش هنبعد عن بعض أبداً.. ولحدِّ ما نهرب مش هسيب ماما تضربك تاني وعد.

- هتكبري إمتى بقى؟

- قريب يا حبيبي.. قريب.. أه صح شوفت جبتلك إيه.. الشوكلاتة إلِّي بتحبَّها أهي.

يظهر على "يحيى" الفرح الشديد كما لو أنَّها أعطته هديَّة من الجنَّة، لكن ما أسعده لم تكن الشكولاتة، بل كانت أخته "ريم" كانت أمله الوحيد في هذه الدنيا، كانت حب طفولته الصادق. في هذه اللحظة احتضنها بقوَّة بهاتين اليدين الصغيرتين، كان خائفاً أن تفلت منه، ليخبرها كلمات خرجت من قلبه قبل لسانه.

- أنا بحبك أوي يا ريم.

***

سنة ٢٠٢٢م

يتوقَّف يحيى قبل تذكُّر أكثر لحظاته إيلاماً، ليتأكَّد أنه لن يستطيع التحكُّم بغضبه أكثر، يرمي بجميع الأوراق على المكتب، يمسك

شاشة حاسوبه ويكسرها، يضرب مكتبه بقدمه ليوقعه أرضاً، لقد دخل في نوبة غضب شديد، ولم يترك شيئاً سليماً في مكتبه، مثلما لم تترك هذه الذكرياتً شيئاً سليماً في روحه.

(١٠)

مقر جريدة حكومية

يجلس رئيس التحرير "هاني" الذي يبدو كبيراً في السن على مكتبه، يلعب على حاسوبه الخاص به لعبة الشطرنج ضد شخصٍ أخر أونلاين.

تدخل عليه "شمس"، فيُعدل جلسته سريعاً.

- حضرتك طلبتني؟

- أه يا شمس.. إتفضلي أقعدي.

تجلس "شمس" ولكن كامل تركيزه على حاسوبه، يبدو على وجهه معالم الجديَّة، يبدو على "شمس" الملل.

- ثواني هبقى معاكي.. بعمل حاجة مهمة بس.

- لا على مهلك.

- يابن الجزمة.

- نعم؟

يغلق "هاني" حاسوبه وينظر ل"شمس":

- لا متاخديش في بالك.. المهم الخبر إلِّي كتبتيه الناس عايزة تعرف عنه أكتر.. وإنتِ لحدِّ دلوقتي مبعتليش عنه حاجة جديدة.

- أنا مراقبة بقالي فترة المشتبه به الأول في القضيَّة.. بس المشكلة إنُّه ذكي أوي.. ومش عارفة أمسك عليه حاجة.. بس أوعدك إنِّي هوقعه.

- قدَّامك يومين عشان تكتبي حاجة جديدة في القضية دي.

- حاضر

- إتفضلي

تخرج "شمس"، ويفتح "هاني" حاسوبه مجدداً.

- تعالالي بقى.

***

يجلس "أدهم" على مكتبه، يكلِّم زوجته "حسناء" على الهاتف، ويبدو عليه الغضب.

- إيه يا حسناء؟ في إيه؟.. كل شويَّة ترني.. أنا مش فاضيلك.

- إنت نسيت إنِّي عندك بيت وزوجة وعيِّل.. ليهم حق عليك.. إنتَ من ساعة ما إتنقلت للقاهرة منزلتش إسكندرية ولا مرَّة.. هو في إيه..؟

أنا مضغوطة ومش متعودة على غيابك.. مش بقولك تنزل كل أسبوع.. بس على الأقل حسِّسني إنَّك موجود وإنِّي مش شايلة كل حاجة لوحدي.

- ماشي يا حسناء.. وعد هنزل الأسبوع دة.

يدخل "أيمن" مكتب "أدهم" ويفتح الباب دون أن يستأذن، ويبدو على وجهه الصدمة.

- في مصيبة.

يترك "أدهم" هاتفه:

- في إيه؟

- أستاذة صفاء إلِّي إبنها نزِّل فيديو يتكلَّم عليها على الفيس بوك.. الجيران لقوها مقتولة من شويَّة.. وبنفس الطريقة إلِّي اتقتلت بيها سعاد.

***

يخرج "أدهم" من قسم الشرطة، ليتصل بـ"منَّة"، ويبدو في قمَّة

غضبه.

- أيوة يا باشا؟

- إنتي عرفتي تورِّي الفيديو ليحيى ومقولتليش؟

- لا والله.. أنا لسَّة كنت بفكَّر أورهوله إزَّاي بطريقة غير مباشرة.. هو في إيه حصل؟

- يحيى موجود في الشركة؟

- أه.. هو في إي...

يغلق "أدهم" الخط على "منَّة"، ويتجه لسيارته، ويردد جملة واحدة.

- أكيد شافه لوحده.

يقود سيارته بسرعة كبيرة، حتَّى يصل أمام بوابة شركة "يحيى"، يدخل الشركة ويصعد سلالمها مسرعاً، يلاحظه جميع الموظفين، هذه الهالة الغاضبة صعب ألَّا تُلاحظ.

يجلس "يحيى" على مكتبه يقوم ببعض الأعمال الورقية، ويسمع خارج مكتبه صوت "منَّة".

- مينفعش كدة سعتك.

يفتح "أدهم" باب المكتب، وهو يستشيط غضباً.

– إنتَ فاكر هتفضل تفلت بإِلِّي بتعمله.. ؟

أقسم بالله لو أخر يوم في عمري لأسجنك يا مريض.. وأنا عمَّال أسأل نفسي ليه أمُّه إنتحرت ؟

يبدو على "يحيى" التعجُّب الشديد عند سماعه لجزئية والدته.

– أكيد مستحملتش تعيش مع واحد مريض زيَّك.. بس والله لأخد حق كل واحدة قتلتها.

يدخل أمن الشركة، لإخراج "أدهم" من المكتب، فيخرج ولكن تظل علامات الاستفهام على وجه "يحيى".

***

إسكندرية

يبدو أنَّ "أدهم" أوفى بوعده لزوجته. جالس على طاولة العشاء، وبجواره ابنه "عيسى" البالغ من العمر تسعة سنوات.

يمازح ابنه وهو يأكل، يبدو أنَّه يحمل له في قلبه الكثير من الحب، ينظر له وبطريقة أكله، ينظر لوجهه، وينظر لابتسامته، فيرى نفسه في جميعها، كأنَّه ينظر لمرآة تريك نفسك في الماضي. النظر لوجهه ينسيه كل ما يزعجه، يجعل رأسه صافياً لو للحظات، هو الوحيد

القادر أن يخرجه من عالم جريمته، ويدخله في عالمه الذي لا يعرف كره أو حقد. يلاحظ "عيسى" أنَّ والده لا يأكل.

- بابا.. مش بتاكل ليه؟

- لا.. يا حبيبي كنت بفكَّر في حاجة بس.. ركِّز إنت في أكلك يا سيادة اللواء.

- بتفكَّر في إيه يا بابا؟

يحاول "أدهم" الرد، لكن تقاطعه "حسناء".

- بيفكَّر في الشغل يا حبيبي.. وكُل وإنت ساكت.

- مالك في إيه؟.. بتكلِّمي الولد كدة ليه؟

- مليش.. أنا نفسي إتسدت.

تنهض "حسناء" من على طاولة الطعام لتدخل غرفتها.

- كُل يا حبيبي.. كبَّر دماغك منها.

- بابا أنا عايز أقولك على حاجة.. ماما بتضربني كتير أوي وإنت مسافر.. وبتقولي لو قولتلك هتضربني أكتر.. وقالتلي كمان ما ورِّكش التعويرة إلِّي عملتهالي في كتفي لما عضتني منه ونزل دم.

يبدو على "أدهم" الصدمة، ليمسك ذراع "عيسى"، ويرى أثار

العضَّة، تاركة أثراً واضحاً جداً في ذراعه، كما لو أن كلباً هو الذي عضَّ "عيسى"، وليس إنساناً.

- أنا مش هخلِّيها تضربك تاني.

يذهب اتجاه الغرفة، ويقول في عقله:

- لو معرفتش أدافع عن ابني.. ما ستحقِّش أكون أب.

لم يلاحظ "أدهم" في هذه اللحظة أنَّه جزء من هذه المشكلة، لم يلاحظ أن عدم اهتمامه بها قد يكون سبباً في الذي يحدث لطفله. تركه لها، وتراكم الضغوطات، كفيل أن يحوِّل الإنسان لحيوان لا يعرف عن الإنسانية والرحمة سوى المسمَّى فقط.

دخل "أدهم" الغرفة، وهو في غاية الغضب، يبدو أنَّ شكوى "عيسى" له هي القشَّة التي قسمت ضهر البعير، يجدها تمسك هاتفها.

- إنتِ بتضربي الولد وتعضِّيه زيِّ الكلبة المسعورة.. بتستقوي عليه عشان مش قدِّك؟

تترك هاتفها وتقف، لترد بعصبيَّة:

- أه بقى أنا بستقوى عليه.. ودة ابني وأربِّيه بالطريقة إلِّي تريَّحني.

- حلو أوي.. وزيِّ ما إنتي بتستقوي عليه.. أنا هستقوى

عليكي.

يصفعها "أدهم" على وجهها بكلِّ قوته، لدرجة أنَّ فمها جُرِح فخرجت منه نقاط من الدماء، بينما كان "عيسى" يأكل ليسمع هذه الصفعة فيغلق عينيه وينتفض من مكانه.

(١١)

إن أردت أن تنير كالشَّمس.. احترق مثلها.

هذه الغرفة مثل غرف الفتيات، يبدو أنَّ "شمس" مازالت تعيش مع والدتها، تجلس على مكتبها، تبحث في حاسوبها عن معلومات عن "يحيى الناجي"، الغريب أنَّه لا وجود له على مواقع التواصل الاجتماعي، لا يوجد عنه شيء إلَّا في "ويكبيديا"، ولا تحمل إلَّا تاريخ ميلاده، وهو ١٣ يناير ١٩٩٥ م، وأنَّه أصغر مدير تنفيذي لشركة تسويق عالمية تدعى ""IMC، وهو خرِّيج كليَّة التجارة جامعة القاهرة بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف، كما أنَّه رفض أن يُدرِّس في الجامعة، وحصل على الدكتوراه في الخامسة والعشرين من عمره، يرن هاتف "شمس" الذي بجوارها، يبدو أنَّها رسالة، تقرأها "شمس" بصوتٍ مرتفع :

– عندي معلومات هتفيدك عن القاتل المتسلسل إلِّي كتبتي عنه، قابليني بعد بكرة الساعة ١٠ بالليل على الموقع إلِّي بعتهولك على الواتساب.

تقفز "شمس" من مكانها من شدَّة السعادة، يبدو أنَّها وجدت ما تبحث عنه.

***

يجلس "يحيى" على مكتبه يمسك رأسه بيديه الاثنتين، يشعر كما لو أنَّ أحدهم يثقب في رأسه ثقباً، لكنَّه لا يستطيع أن يمنعه، فتستمر معاناته.

يخرج من مكتبه، ليجد "منَّة" واقفة أمامه.

- إلغي كل مواعيدي.. أنا هاخد أجازة يومين.

- حاضر يا أستاذ يحيى.. هوَّ في حا...

يكمل "يحيى" سيره، يركب سيارته ويخرج من الشركة، متجهاً لمنزله.

نرى "يحيى" يقوم بالطبخ كشيف ماهر في مطبخ منزله الحديث، يقطِّع الطماطم والبصل بشكل احترافي، ويضع الدجاج في الفرن بعدما تبَّله، ومعه يضع المكرونة البشاميل، يُخرج الطعام من الفرن، يبدو أنَّه جاهز للتغليف، فهذا الطعام ليس له، إنَّه لأخيه "مروان".

ينزل "يحيى" بالطعام لأخيه، يفتح الباب بالنسخة التي معه، ينظر لجدران المنزل مما يشعره بعدم الراحة لما جرى في هذه الشقة

خلال طفولته، ينادي "يحيى" على أخيه:

- مروان.. مروان.

- أيوة يا يحيى.. أنا بستحمَّى

- جبتلك الأكل.

- حبيب قلبي والله.. التلاجة فاضية وكنت ميِّت من الجوع.. شويَّة وهطلعلك ناكل سوا.

يمشي "يحيى" في الشقَّة ثمَّ يدخل إلى غرفة "مروان" التي بجوارها الحمَّام، بعدما وضع له الأكل على الطاولة.

- هعمل مكالمة من موبايلك عشان معيش رصيد.

- خد راحتك.. هتلاقيه على السرير.

يجد "يحيى" الهاتف، يفتِّش فيه لكن لا أستطيع أن أعرف ما الذي يبحث عنه تحديداً، يقف عن البحث وينظر للهاتف كأنَّه يقرأ شيء، ثمَّ يترك الهاتف ويخرج من المنزل ليصعد شقَّته ويأخذ قسطاً من الراحة.

يخرج "مروان" من الحمَّام.

- كويِّس إنَّك جيت ناكل مع بع...

ينظر "مروان" حوله لكنَّه لا يجد يحيى، يهز كتفيه تعجباً، وعندما يشم رائحة الطعام يذهب مسرعاً إتجاهه.

***

"شمس" في غرفتها يبدو عليها التوتر، تنظر لساعة الحائط كل دقيقتين والتي تشير إلى الخامسة، يرن هاتفها، تمسكه لترى من المتصل، ولكن يبدو أنَّ هذه ليست المكالمة التي تريدها، ولكنها ترد على مضض.

- أيوة يا أيمن

- وراكي حاجة النهاردة..؟ لو فاضية نخرج سوا.

- لا مش هينفع ورايا مشوار بالليل.

- خروجتي أكيد أحلى من المشوار دة.

- مظنِّش بصراحة.

- دة مشوار إيه دة بقى؟

- هقولَّك أوَّل ما يخلص.. يالا بقى.

- طيب هستناكي تكلميني.. باي.

- باي

***

تصل "شمس" للمكان في الموعد المحدد، ولكنَّها شعرت ببعض الريبة فالمكان لا يوجد فيه أحد ولا تسير فيه سيارات، أمسكت هاتفها لتحاول الاتصال بالرقم الذي أرسل لها الرسائل، ولكن ترد عليها رسالة مسجَّلة أنَّ الرقم مغلق، فتكتب له رسالة قد يرد عليها، وأثناء كتابتها الرسالة، نرى شخص يقف بجانب باب سيارتها وقبل أن تشيح نظرها عن الهاتف وتنظر بجانبها، يصوِّب مسدَّسه ناحية رأسها، وقبل أن تلاحظ حتَّى، يُطلق على رأسها رصاصة، جعلت دمها يتناثر في أنحاء السيارة، ثمَّ يكمل هو طريقه تاركاً إيَّاها غارقة في دمها. يسقط هاتفها التي تظهر فيه صورتها هي وأيمن لتكون أخر ما رأته، أظنَّها في هذه اللحظة تمنَّت لو وافقت على عرض "أيمن" لها، أو تمنَّت أن تسمع صوته للمرَّة الأخيرة، لم تكن ذكيَّة في إظهار مشاعرها له، ولكن الأكيد أنَّها لم تحب في الكون مثله، فلو كانت هي الشمس التي تحترق لتنير حياته لكان هو القمر الذي تريده أن يسحب كل نورها ليضيء.

(١٢)

المصائب مثل النَّمل.. تأتي في مجموعات.

يدخل "أيمن" على مكتب "أدهم" ويبدو متحمساً، لكن أدهم يبدو عليه التفكير الشديد، لكن ليس في القضية إنَّما في "عيسى" ابنه، لذلك لا يلاحظ دخول "أيمن" عليه.

- باشا.. باشا.

- إيه يا أيمن؟

- لمَّا قولتلك إن يحيى وصل شغله متأخَّر ساعة ونص يوم الجريمة.. فضلت متابع خط سيره من بيته لشغله، وشوفت كل الأماكن إلِّي بيعدِّي عليها بالعربية وهو رايح لشغله.. يمكن ألاقي كاميرا ولا حاجة مسجلة الوقت إلِّي لقطت العربية فيه.. المهم لقيت فعلاً كاميرة محل مصوَّرة يحيى.. ولمَّا فرَّغتها شوفت حاجة ضحكتني بصراحة.

- شوفت إيه؟

- طيب قبل ما أنسى.. إتفضَّل الفلاشة هتلاقي فيها الفيديو.. المشكلة إنِّي موبايلي فاصل كنت فرجتك عليه عندي.

يخرج "أيمن" الفلاشة من جيبه ويعطيها ل"أدهم" الذي يضعها في درج مكتبه.

- المهم شوفت يحيى وهو بي...

يرن هاتف "أدهم" ليستأذن "أيمن" لكي يرد :

- أيوة مين معايا؟

- مع حضرتك الدكتور مصطفى.. حضرتك الأستاذ أدهم؟

- أيوة أنا.

- ابن حضرتك في مستشفى مبرة العصافرة، وحالته خطرة جداً.

- إنت بتقول إيه؟.. أنا جاي دلوقتي حالاً.

يغلق "أدهم" الخط:

- ابني في المستشفى وحالته خطرة.. لازم أمشي دلوقتي.

- إن شاء الله هيبقى كويِّس

- يارب

يتحرَّك "أدهم" مسرعاً، ويكاد أن يقع أكثر من مرَّة، دقَّات قلبه تزداد في كلِّ لحظة، يبدو على وجهه الرعب، فلا يوجد في الحياة من هو أغلى من ابنه "عيسى"، يأخذ سيارته ليتجه إلى الإسكندرية.

***

يعود "يحيى" لمنزله، لقد كان خارج البيت منذ الأمس ولم يعد، يلقي المفاتيح على الطاولة التي بجانب باب منزله، ويلقي معها ظرف ولكن لا أعلم ما بداخله، يذهب لسريره دون أن يغيِّر ملابسه قبل النوم لأوَّل مرَّة، يغطِّي نفسه جيداً، يبدو أنَّه مرَّ بيومٍ سيِّء.

***

مستشفى مبرة العصافرة .. الإسكندرية

نرى "أدهم" داخلاً المستشفى وقد حلَّ الليل، يجري نحو الاستقبال، ويأخذ نفسه بصعوبة.

- لو سمحت.. عيسى أدهم محمد ؟

- ثواني هشوف لحضرتك على الكمبيوتر.. في أوضة العمليات في الدور الثاني.

يجري أدهم ناحية غرفة العمليات، يقف أمامها، ينتظر أن يخرج

منها أي أحد ليطمئنه عن ابنه، لحظة انتظاره كانت أصعب لحظة مرَّت عليه، كل ما كان يخطر بباله، كان يجعله يبكي أكثر، ولكنَّه كان يحاول التحلِّي بالإيمان، كان يدعي الله بعد كلِّ نفسٍ يتنفَّسه.

يخرج الدكتور من غرفة العمليات، ليجد "أدهم" جالساً على الأرض.

- حضرتك أستاذ أدهم ؟

ينظر له "أدهم" وكأنَّه رأى ملاك الرحمة الذي سينقذه من هذا العذاب.

- أيوة أنا.. ابني ماله ؟

- متقلقش هو الحمد لله بقى كويِّس دلوقتي.

نزلت هذه الكلمات عليه كالماء البارد في أشدِّ يوم في الصيف حراً.

- طيب هو إيه إلِّي حصل.. أنا مش فاهم حاجة ؟

- هقول لحضرتك كل حاجة.. بس إتفضَّل معايا على المكتب وهشرحلك..

يتجه كلاً منهما إلى مكتب الدكتور، يجلس الدكتور مصطفى وأدهم.

– أنا مراعي قلقك جداً.. بس الموضوع كبير فعلاً.. عيسى لمَّا وصلِ المستشفى كان في حالة سيئة جداً وعليه علامات ضرب كتير في كلِّ جسمه، بس مش دة كان السبب لنقله هنا.. ابن حضرتك إضَّرب على دماغه بحاجة مش عارفين إيه هي.. كانت ممكن تنهي حياته لولا ستر ربنا عرفنا ننقذه.. لكن...

– لكن إيه؟.. قول يا دكتور ماله عيسى ؟

– للأسف عيسى مش هيعرف يمشي على رجله تاني.. جاله شلل نصفي.

استمرَّ الطبيب في الكلام محاولاً شرح حالة عيسى أكثر، لكن أذن "أدهم" توقَّفت عن السمع، بل عقله أيضاً توقَّف عن التفكير، وجهه لا يبدو عليه أي معالم، متجمِّد مكانه لا يتحرَّك ولا يعطي أي ردِّ فعل على ما يُقال له، كما لو أنَّه هو الذي أصيب بالشلل ليس ابنه.

– أستاذ أدهم.. أستاذ أدهم.. حضرتك معايا؟

– هي إلِّي عملت كدة صح.. ضيَّعت مستقبل ابني.. دمَّرته.. أنا السبب مكنش لازم أسيبه لوحده معاها.. قبل ما أمشي مسك هدومي وقالِّي متمشيش خلِّيك معايا.. عينيه كان كلَّها خوف.. كأنُّه عارف إلِّي هيحصلُّه.

– استهدي بالله يا أستاذ أدهم.. ومتقلقش إحنا من أثار الضرب عرفنا إنِّي زوجتك هي السبب.. وبلَّغنا.. وتم القبض عليها.

– ليه..؟ كنت تسيبهالي.. كنت أخد حق ابني منها.. أنا عايز أشوف عيسى دلوقتي.

– للأسف دلوقتي مش هينفع بس في أقرب فرصة لمَّا حالته تسمح بالزيارة.. هقول لحضرتك على طول.

***

يشرب "أيمن" قهوته في الكافيه المفضَّل لديه المطل على النيل، يجلس يفكِّر في "شمس"، وفي الهديَّة التي سيحضرها لها من أجل ذكرى أوَّل لقاء جمعهما، عندما كان يعمل على قضيَّة وكانت ترغب في عمل لقاء معه، حتَّى تعرف أكثر عن أحداث وتطورات القضية، دائماً كان يرفض هذه اللقاءات ويتجنَّبها، لكن عندما وقع نظره عليها، كان مستعداً أن يقوم بلقاءات صحفية طوال حياته، وافق على طلبها في نفس اللحظة، كانت عينيه تلمعان، كان يعلم من لقائهما الأوَّل أنَّها ستصبح شريكة حياته، هذا الشعور الذي طغى عليه، شعور أن هذا لم يكن لقائهما الأول، شعر أنَّه في عالم مواز هو وهي لم يفترقا للحظة واحدة، يوم ذهبت بعدما أتمت لَقائهما الصحفي، نظر إليها وبدى كأنَّه يقول" أخذتي القلب والعقل ولم

تتركي لي غير صورتك التي حُفرت في ذهني" وبعد هذا اللقاء قابلها أكثر من مرَّة، وفي كلِّ مرَّة كان يخبرها أنَّها مصادفة، حسناً.. سبعة صُدف، تبدو أنّها الكثير من الصُدف.

يقطع تفكيره هاتفه الذي يرن، ليرد عليه.

- إزيِّك يا حماتي ؟

يبدو أنَّها تبكي بشدَّة.

- أيمن شمس ماتت.

تنقلب تعابير "أيمن" الباسمة، لتعبير لا يمكن وصفه، لقد توقَّف الزمن بالنسبة له في هذه اللحظة.

- لقوها مقتولة برصاصة في عربيتها.

يقع الهاتف من يد "أيمن"، عاجز عن الرد لا يتحرَّك من مكانه، لا يرمش حتَّى بعينه، ثمَّ تأتيه هذه اللحظة، التي يريد فيها عقله أن يزيد عذابه، ليتذكَّر محادثة بينه وبين شمس، كما لو أنَّ "شمس" تتكلَّم في أذنه.

- أيمن هو إنت مكمِّل معايا ليه بالرغم إنِّي مبدكش ربع الاهتمام إلِّي إنتَ بتدهوني ؟

- عشان بحبِّك.. بحبِّك أوي يا شمس.. طول الوقت بفكَّر

فيكي.. لَمَّا بزعل أو بضَّايق أو بتخنق بفكَّر فيكي.. كل دة يروح.. عارفة أنا طول عمري حاسس بالنقص.. بسبب إنِّي لوحدي دايماً بس إنتِ الوحيدة إلِّي خلتيني أحس إنِّي كامل.. إنتِ شمس.. وأنا هفضل قريب منِّك حتَّى لو دة معناه إنِّي هتحرق بسبب قربي منِّك.

***

هذه هي المقابر، المكان الذي يُدفن فيه كلّ شيء، الأحباب والأعداء، الأقارب والأغراب، المكان الذي يُدفن فيه العاشق قبل جسد المعشوق، وها هو العاشق يحمل نعش معشوقته ليدفنها. يسير بخطواتٍ ثابتة، يصرخ ويبكي داخله، لم يترك لخارجه دمعة واحدة ليذرفها، هذه الحرب داخله تفتت روحه، يحفر هو الحفرة التي ستوضع فيها، كل ضربة يضربها بالفأس، كما لو أنَّها تُرَد إليه بذكرى من ذكرياته مع "شمس"، هذه الذكريات التي كانت سبباً في سعادته، ستصبح سبب شقائه الأبدي. نراه يحملها بيده لأخر مرَّة، ويضعها في مثواها الأخير، في هذه اللحظة لم يتمالك نفسه، لقد بكي كالأطفال، بكى بحرقة، بكى كما لم يبكِ رجلاً من قبل، بكى كما لم تبكِ والدتها، لقد نسي كيف يقف على قدميه ليقع على ركبتيه، ليكمل ويفطر قلب الحاضرين جميعهم. يجثو على ركبتيه لينام على الأرض مغطَّى بدموعه والتراب الذي سيغطي شمسه.

يجلس "مروان" يُقلِّب في هاتفه، يبدو عليه الملل، وبدأ يشعر بالجوع، يذهب للثلاجة، يجدها فارغة، فيقرر أن يصعد لمنزل أخيه، يفتح الباب، ينادي على أخيه "يحيى" ولكنَّه غير موجود بالمنزل، رغم أنَّ اليوم إجازة.

يفتح الثَّلَّاجة ويأخذ منها ما يحتاجه، ثمَّ يسخِّن الطعام، يضعه في أطباق، وفي طريقه لطاولة الطعام يلاحظ التاريخ على التقويم المعلَّق على الحائط، إنَّه ١٣ يناير ٢٠٢٢، ليتذكَّر أنَّ اليوم هو عيد ميلاد "يحيى"، ثمَّ يكمل طريقه ويضع الطعام على الطاولة، وقبل جلوسه يلاحظ الظرف الموجود على طرفها، يمسكه ويفتحه، يوجد في الظرف صور، ولكن النظرة على وجه "مروان" تدل على أنَّ هذه الصور ليست كباقي الصور، ما هذه النظرة المليئة بالخوف الممزوج بالصدمة.

***

يقود "أيمن" سيارته ولا يعرف إلى أين يتوجَّه، حتَّى تأتيه هذه المكالمة الهاتفية من رقم غريب، ليرد عليها، الطرف الأخر يتكلَّم، و"أيمن" لا ينطق، ولكّن من معالم وجهه تسطيع أن تعرف كم هو غاضب، لقد تلوَّنت عينه وكأنَّ شيطاناً تلبَّسه.

***

(١٣)

الماضي الذي أنهى الحاضر والمستقبل.

يدخل "يحيى" لمنزله، ليجد أنوار الشقَّة مفتوحة، و"مروان" جالس يشاهد التلفاز، يلاحظ "مروان" دخول "يحيى" ليغلق التلفاز، ويبتسم قائلاً:

- مفاجأة مش كدة؟.. قولت أطلع أشوف أخويا عامل إيه..! النهاردة عيد ميلادك كمان. أنا عارف إنَّك بتكره عيد ميلادك وبتكره اليوم دة بالذَّات عشان كدة عمرك ما احتفلت بيه.. بس أنا كنت ناوي أجبلك هديَّة بقى.. بس إنتَ طول عمرك أحسن منِّي.. وطلعت إنت إلِّي عاملي هدية.. مصوَّرني من ضهري.. بس مفرحتش بيها بصراحة.. هو مش ربنا قال ولا تجسسوا برضه !

- ملكش دعوة بربنا بس.. هو سؤال.. إنت إلِّي قتلت أمِّنا صح؟

يضحك "مروان" بهستيرية شديدة لدرجة الدموع، ضحكة شخص مريض، ليهدأ بعدها بقليل ويمسح دموعه، يرمقه "يحيى"

بنظرة تقزُّز.

- أمِّنا!.. بجد مسمِّي المريضة دي أمِّنا ؟

وبعدين هو إنت بتعاتبني..! إنتَ وهي المفروض تشكروني أنا، على الأقل ريَّحتها من عقلها المريض.. وريَّحتنا أنا وإنت منها.. إنتوا كلكم المفروض تشكروني.. اللِّي يتعاتب إنتَ.. لَمَّا تعبت فضلت تدِّيها الأدوية وتطول في عمرها أكتر وفي عذابنا أكتر وأكتر.. كان لازم أخد أنا القرار ساعتها.

***

يتذكَّر "مروان" ما حدث في ليلة الثالث عشر من يناير سنة ٢٠١٤، عندما كان هو في السادسة عشر من عمره و"يحيى" في التاسعة عشر.

نرى "يحيى" في المرحاض يغسل وجهه، ثمَّ يسمع صوت والدته تناديه ليعطيها الدواء، يغمض "يحيى" عينه يبدو أنَّه فاض به الكيل، ولكنَّه يخرج من الحمَّام، ليجد أمامه "مروان" يوقفه أمام المطبخ الذي يوجد به الدواء.

- سيبني أنا هدِّيها الدوا المرَّادي.. شكلك تعبان روح ارتاح.

- ماشي.. هتلاقي علبتين برشام على الرخامة واحدة صفرة

والتانية بيضة إديها حبَّاية واحدة من البيضة.

يذهب "يحيى" لغرفته وينام، ويذهب "مروان" لأخذ علبة الدواء، لكنَّه أخذ علبة الدواء الصفراء بدلاً من البيضاء، وهو يعلم أن هذا الدواء يعالج نقص هرمون معيَّن، يتجه نحو غرفة والدته التي يبدو عليها التعب، والإجهاد، فهي ترقد على السرير لا تستطيع الحركة، يأخذ ثلاث حبَّات من الدواء، ويضعها في فمها ويُشربها كوباً من الماء، وعندما تأكَّد من شربها للدواء، اقترب من أذنها وهمس فيها:

- شكلك عايزة تنامي.. متقلقيش مش هتصحي تاني.. تصبحي على خير يا ماما.

***

الوقت الحاضر

- أوَّل مرَّة أشوفك بصصلي كدة يا يحيى.. أوَّل مرَّة أعرف مشاعرك من وشَّك.. طول عمرك كلامك قليل.. بس بتهتم بإلِّي حواليك من غير ما تحسسهم ب دة.. مبتستناش شكر من حد.. فاكر اليوم إلِّي إتأخَّرت فيه أوي.. وإتصلت بيك.. وقولتلي إنَّك شوفت واحد عمل حادثة وفضلت معاه لحدِّ ما نقلوه المستشفى وأهله وصلوا.. ساعتها اتمنِّيت أكون زيَّك.. بس أنا عمري ما هكون زيَّك.. بس الأكيد إنِّ الست دي إستاهلت كان لازم تسيب

أبونا ياخدنا بعد إلِّي حصل في ريم.

***

١٣ يناير سنة ٢٠٠٠م

هذا صوت صراخ ريم، الذي يرتفع في كلِّ لحظة، ونرى والدتها قامت بربط قدميها، لتضربها بالحزام عليهما بكلِّ ما أوتيت من قوَّة، لا تهتم لصرخات ابنتها الوحيدة، لا تهتم بالألم الذي تشعر به. تحاول "ريم" محاولة أخيرة وهي تبكي أشدَّ البكاء، قد تستعطفها هذه الكلمات:

- كفاية.. عشان خاطري كفاية.
- إنتِ فاكرة لمَّا تصوَّتي أنا هبطَّل !

لتكمل ما بدأته حتَّى أُنهكت، تفك أقدام ابنتها المربوطة، لنجد "ريم" تجري في اتجاه البلكونة وتقف على السور، تنظر إلى جانبها الأيمن لتجد "يحيى" يجلس على الأرض، وهو يضم قدميه، وذراعيه حول قدميه، وينظر لها والخوف يملأ عيناه، دقَّات قلبه تتسارع حتَّى اختفت الأصوات حوله، ولكنَّه يرى "ريم" وهي تقول شيئاً لا يسمعه ولكنَّه يميِّزه من حركة شفتيها.

- أنا أسفة.

تقفز "ريم" واضعة حداً لهذه المعاناة، لتترك أخيها خلفها في حالة صدمة، فاقداً للنطق، لا يعلم ما حدث، هل من كانت تعطيه أملاً في الحياة اختارت الموت، هذه هي اللحظة التي غيَّرت كل شيء.

يمر يوم على هذه الحادثة، يبدو أنَّ زينب تبكي على فقدها لابنتها وترتدي الأسود، كم هي حنونة، لنسمع هاتف "زينب" يرن ليقطع عليها لحظة تأثُّرها بوفاة ابنتها، إنَّه "فريد" زوجها، ترد عليه.

يقول "فريد" وهو يبكي:

- إنتِ السبب في موت بنتي يا بنت الكلب.. أقسم بالله ما هرحمك.. أنا هسيب الشغل ونازل إسكندرية.. وأمي جاية تاخد منك العيال.. إنتِ طالق بالتلاتة.

يغلق "فريد" الخط، لنرى "زينب" فور انتهاء المكالمة تسرع ناحية خزانة الملابس، تأخذ ذهبها كلَّه والمال التي كانت تدَّخره، ثمَّ تُنزل الحقائب، وتضع بها كل ملابسها وملابس أطفالها وتذهب لغرفة "يحيى" و"مروان" تضع عليهم ملابسهم، وتخرج من المنزل سريعاً. أوقفت سيارة لتقلُّها إلى أقرب مكان تستطيع أن تركب منه للقاهرة.

***

الوقت الحاضر

يقترب "يحيى" من "مروان" ويمسكه من ملابسه.

– إنت فاكر إنِّ الِّي بتقوله.. مبرر لقتلك ليها.. عرفت تقتل بالسهولة دي؟

– أوَّل مرَّة مكنتش بسهولة.. بس قتلي للست دي كان أسهل.

– قصدك إيه؟

– فاكر لمَّا سألتني زمان عن شكل الروح.. أنا بجد ساعتها كنت عايز أجاوبك.. فقولت أحاول أكتشف شكلها بنفسي.. وأقولك.

يتذكَّر "مروان" هذا اليوم بأحداثه كاملةً، كان في هذا اليوم المشئوم الثالث عشر من يناير سنة ٢٠٠٧م، كان "مروان" عمره عشرة سنوات، يلعب على السلَّم أمام منزله، وكانت تنزل من على السلَّم والدة "رَوان" لتجده أمامها يلعب.

– إيه يا حبيبي عامل إيه ؟

– الحمدلله يا طنط.

– متفضلش قاعد على السلَّم كتير عشان ميجلكش برد.

– حاضر.

ثمَّ تكمل طريقها، لنرى "مروان" يقف ويتأكد أنَّها خرجت من المبنى، يصعد على السلَّم ويدق جرس منزل "رَوان" لتفتح له.

- أيوة يا مروان.. عايز حاجة؟

- أه.. يحيى تحت قاعد مضايق أوي على السلَّم.. وقالي أطلع أندهلك عشان تنزلي تقعدي معاه شويَّة.

لقد كانت تغمر السعادة "رَوان" في هذه اللحظة، لم تصدِّق أنَّ "يحيى" هو الذي يطلب منها النزول إليه، وهي دائماً من كانت تنزل إليه لتراه، وعندما شعرت للمرَّة الأولى أنَّ "يحيى" يحتاج إليها، كانت أسعد من في الكون، هذه الابتسامة تشهد على ما أقوله، ولكنَّها تحاول أن تكذِّب ما تسمعه.

- يحيى قالَّك كدة؟

- أيوة.

- طيِّب يالَّا بينا بسرعة.. بلاش نخلِّيه يستنَّى.

تغلق "رَوان" باب منزلها لتنزل مسرعةً على السلَّم وخلفها "مروان"، فتنظر ولكنها لا تجد أحداً لتسأل.

- فين يحيى يا م.. ؟

لم يمهلها لتكمل الجملة، ليدفعها من على السلَّم، وتسقط كاسرةً رقبتها وغارقةً في دمائها، ينظر "مروان" لها بتمعُّن شديد.

- إيه دة؟.. الروح ملهاش شكل.

***

ما سمعه "يحيى" كان كفيلاً أن يدمِّره واقفاً، لكنَّه يحاول التماسك، عيناه التي تدمعان فضحتاه، ولكنَّه لا يجد شيئاً يقوله، يكمل "مروان" حديثه.

- أمَّا بالنسبة لجارتنا الحبيبة سعاد.. ف إنت أكيد عارف ليه قتلتها.. كانت شبه أمنا أوي إتصدَّق..! وابنها فكَّرني بنفسي وأنا صغير.. مكنتش هسمح إنِ أخلِّيه يعيش نفس إلِّي أنا عشته.. وبصراحة هي كانت مغفَّلة أوي.. عرفت من محمود إنَّها بتدوَّر على شغل.. روحتلها الصبح قولتلها إنِّي لقيتلها شغل.. دخَّلتني وكانت مبسوطة.. الله يرحمها كانت هبلة.

- علياء إلِّي كانت شغَّالة عندي عرفت إزَّاي موضوع بنتها؟

- بسببك.. لمَّا طلبت منِّي أجبلك ورق ساعتها ودتهولك وبعدها نزلت على الكافيتريا.. لقيتها قاعدة لوحدها.. لفت نظري دراعها فقرَّبت وسألتها.. بعد ما لعبت معاها شويَّة.. قالتلي كل حاجة وإزَّاي مامتها حرقتها.. وطبعاً إنِّي أجيب عنوانها دي أسهل حاجة من ال Hr.. وطبعاً عشان عارفين إنِّي أخ المدير إدَّهوني في ساعتها.

- دول قتلتهم عشان ولادهم.. بس شمس قتلتها ليه؟

- أه إلِّي انت مصوَّرني وأنا بقتلها.. إنت فاكرني كنت عايز أقتلها؟.. هي إلِّي إضطرتني.. لمَّا جاتلي البيت عشان تاخد معلومات عنك.. بدأت أراقبها.. لقيتها بتراقبك معظم الوقت.. ولو فضلت مرقباك وأنا مثلاً قررت أقتل أم دلوقتي.. هتبقى السبب إنَّها تشيل الشكوك عنك.. وهيبدأوا يدوَّروا بقى.. ويركزوا مع ناس تانية.. ترضى إنت أخوك يبقى من الناس التانية دي.. ! أكيد لا.

- إنت فاكر إنَّك هتهرب من إلِّي عملته.. ؟ أنا كنت عايز أتأكَّد من حاجة قبل ما أوصَّل الصور دي للشرطة.

يلتقط يحيى الصور من على الأرض ثمَّ ينظر ل"مروان" مرَّة أخرى.

- وإتأكدت خلاص.. إنت مختل.

تتغيَّر ملامح "مروان" للغضب عند سماعه لهذه الكلمة، نرى يحيى يتجه ناحية الباب، ويخرج من منزله، ينزل على السلالم مسرعاً، يبدو أنَّ الجو يمطر بشدَّة، "مروان" جالس على الأريكة يضم يديه ببعضهما، يخرج "يحيى" من بوابة العمارة ويتحرَّك إتجاه سيارته المركونة بجوار العمارة، ليسمع صوتاً عالياً ينادي عليه.

- يحيى

يلتفت "يحيى" ولكن المطر يُصعب عليه الرؤية، يقترب هذا

الشخص، إنَّه الرائد "أيمن" يصوِّب المسدَّس إتجاه "يحيى" ليطلق عليه طلقة تسقطه أرضاً.

يسمع "مروان" صوت الطلقة من مكانه، ليبتسم ابتسامة شيطانية كما لو أنَّه يعرف من أطلق الطلقة وأُطلقت على من دون أن يرى، يخرج "مروان" من المنزل ليرى أخيه، وهو ينزل على السلَّم يتذكَّر "مروان" المكالمة التي حدثت بينه وبين "أيمن" بعد مشاهدته للصور التي أخذها "يحيى" له، وهو يقتل "شمس".

- أنا إتأكدت إنِ يحيى هو القاتل بس معنديش حاجة ضده.. ومفيش أيِّ حاجة تتمسك عليه.. وحتَّى لو قولت إنِ هو القاتل محدِّش هيصدَّقني.. هو مش في البيت دلوقتي.. بس أنا شايفه محضَّر شنطة سفره وشكله مسافر النهاردة بالليل.. وإتأكدت إنِ هو الِّي قتل شمس.. أنا مش عارف أعمل إيه قولي ..!

يغلق "أيمن" عليه الخط، ونرى "مروان" يضحك ضحكته التي تثير الاشمئزاز.

يصل "مروان" لبوَّابة العمارة، ويهرب "أيمن" بسيارته، يتحرَّك "مروان" ببطء، وينظر حوله، ليجد "يحيى" يسند ظهره على سيارته يلتقط أنفاسه الأخيرة، يجلس بجواره "مروان".

- عارف إنت كنت دايماً بتشيل عنِّي..وبتضرب بدالي.. حتَّى لمَّا

الست إلِّي بتقول عليها أمِّنا ماتت.. نزلت تشتغل وإنت بتدرس.. عشان نلاقي ناكل.. وصرفت عليَّا.

يضحك "مروان" ضحكة خفيفة.

- لحدِّ دلوقتي بتصرف عليا.. بس زيِّ ما طول عمرك بتشيل عنِّي.. دي أخر مرة هتشيل فيها عنِّي.

ينظر "يحيى" أمامه، لا يلتفت ل"مروان" فهو لا يشعر بوجوده، يبدو أنَّ "يحيى" يرى شيئاً لا يستطيع "مروان" رؤيته، هذا الضوء يملأ المكان مع صوت المطر يتساقط على الأرض، يرى "يحيى" اثنان قادمان نحوه لا يميزهما من شدَّة نورهما، حتَّى يقتربان منه أكثر، إنَّهما "ريم" و"رَوان" يبتسمان له ابتسامة ساحرة بهذه الوجوه الملائكية، وهو يتأمَّل فيهما، لتقول "ريم" له:

- مش يلا ولا إيه ؟

يبتسم "يحيى" لأوَّل مرَّة منذ كان طفلاً، ابتسامته لا تقل سحراً عن ابتسامة الملائكة، لم تكذب "رَوان" عندما قالت له أنَّها متأكِّدة من امتلاكه ابتسامة رائعة رغم أنَّها لم ترها قبلاً، يبتسم "يحيى" وهو ينظر لهما، ويرد على أخته:

- يلا.

تنطلق روح "يحيى" مع أخته وجارته، لقد وجد أخيراً خلاصه، لقد وجد السعادة التي طالما ابتغاها، ولكنَّه لم يعرف لها طريقاً، لقد كان أسعد عيد ميلاد مرَّ عليه.

كان "مروان" يراقب طول هذا الوقت ما يحدث، لم يصدِّق أنَّ "يحيى" مات مبتسماً، ظلَّ ينظر صامتاً إلى وجهه، ولكنَّه تذكَّر الصور التي مع "يحيى" فمدَّ يده في جيبه ليأخذها، وهو يقترب من "يحيى" ويقول له:

- أنا الناجي الوحيد.

(١٤)

محكمة جنايات إسكندرية

أحياناً العدالة تحتاج شيطاناً لينفِّذها.

يدخل "أدهم" إلى قاعة المحكمة، ونرى حسناء تدخل للقفص، يتَّجه إليها "أدهم" ناظراً لها حانقاً عليها، يقول لها وهي تنظر له نظرة انكسار وحزن يملأ قلبها:

- أياً كانت المدَّة إلِّي هتتسجنيها.. هستنَّاكي.. عشان أخد حق ابني بإيديَّا.. إنتِ طالق.

تبكي بقوَّة، تترجَّاه أن يطمئنها على ابنها.

- أبوس إيدك.. قولِّي هو عامل إيه دلوقتي؟ حصلُّه إيه.. قولُّه إنِّي مكنتش أقصد.. قوله إنِّي بحبُّه.

- متقلقيش عليه أنا هاخد بالي منه.. إقلقي على نفسك إنتِ.

يذهب "أدهم" ليجلس، ويدخل رجل المحكمة، يقول بصوتٍ

عالٍ:

- محكمة.

يدخل القاضي، فيقف الجميع، ثمَّ يجلس على كرسيِّه، ليجلس الباقي معه.

- حكمت المحكمة حضورياً على المتهمة حسناء محمد عبد الله بالسجن لمدَّة ٥ سنوات عمَّا نُسب إليها من تُهم من تعنيف ابنها المدعو عيسى أدهم محمد مما أدَّى إلى إصابته بعاهة شلل نصفي .. رُفِعت الجلسة.

يجلس "أدهم" ويبدو عليه الغضب من الحُكم، يدور في باله كيف لشخص أنهى مستقبل طفل لم يبدأ حياته بعد أن يكون هذا عقابه، كيف تتعذَّب هي لمدَّة ٥ سنوات، وابني يتعذَّب الباقي من عمره، لكنَّه يخرج من المحكمة مطأطئاً رأسه للأسفل، يشعر بالخذلان لأنَّه لم يستطع أخذ حق ابنه بالقانون.

***

يحضِّر "أدهم" طاولة الطعام، ويذهب بعدها لـ"عيسى" الذي يجلس على الكرسي المتحرِّك، يسحبه إلى طاولة الطعام ويضعه أمامها، ويجلس بجواره.

ينظر "عيسى" لوالده نظرة طويلة ولا يمد يده على الطعام، يلاحظ "أدهم" هذه النظرات.

- مالك يا حبيبي.. الأكل مش عاجبك؟

يحاول أن يمزح معه قائلاً:

- أنا عارف إنِّي أكلي وحش.. بس متخافش هتعلَّم وهبقى ست بيت شاطرة.

ليرد عليه ببراءة الأطفال متسائلاً:

- بابا.. هو أنا هرجع أمشي إمتى؟

لم يتوقَّع "أدهم" هذا السؤال، لقد بقي في صمت، لا يعرف ماذا يقول له، هل يقول له أنَّه لن يمشي مجدداً، وسيظل عاجزاً عن الجري واللعب مثل الأطفال؟

يقول له أنَّه سيظل جليساً لهذا المقعد المتحرك لبقيَّة حياته؟

ثمّ يقرر "أدهم" أن يحتضنه بين ذراعيه بقوَّة، لقد بكي في هذه اللحظة، ظلَّ يبكي في حضن ولده، لم يكن عيسى من يحتاج هذا العناق، كان "أدهم" من يحتاجه أشدَّ الاحتياج.

يمسح "عيسى" على رأس والده وهو يبكي بشدَّة، ويواسيه قائلاً:

- متقلقش يا بابا.. أنا ممكن أستنَّى عادي.. أنا مش مضايق.

- وأنا يا حبيبي وعد.. هبقى رجلك إلِّي بتمشي بيها.

***

يدخل "أدهم" مكتبه في قسم الشرطة ليجمع أغراضه الشخصية لكي يستعد لنقله إلى الإسكندرية كي يبقى بجوار ابنه. يجلس على كرسيِّه لأخر مرَّة ويفتح الأدراج ليخرج أشياءه، يلاحظ الفلاشة التي أعطاها له "أيمن"، يمسكها "أدهم" ويضعها في حاسوبه الشخصي، يفتحها ويضغط على الفيديو المسجَّل من أحد المحلَّات التي يمر عليها "يحيى" أثناء ذهابه للعمل، يجد في الفيديو المسجَّل، "يحيى" يقترب من قطَّة حديثة الولادة وفي يده طبقين بلاستيكيين فارغين وفي يده الأخرى يحمل زجاجة ماء ولبن، يضع الطبق على الأرض ويسكب لها بعض اللبن في طبق والأخر يسكب فيه الماء.

يتذكَّر "أدهم" كلام دكتور "علي" له، وهو يقول:

- معندهمش ذرَّة رحمة اتجاه أيّ كائن حي سواء إنسان أو حيوان.

يغلق "أدهم" حاسوبه، ويُخرِج التقارير الجنائية، الثلاثة الخاصَّة ب"سعاد" و"علياء" و"صفاء".

يفتحهم ويقرأ تقرير "سعاد" بتركيزٍ شديد، ليقف عند هذه

الجملة التي تقول:

- الجروح بالسكِّين عميقة.. ولكن يتضح أنَّ جميع الجروح تتجنَّب المناطق الحيوية والشرايين بشكلٍ دقيق.

ثمَّ يفتح تقرير "صفاء"، ويكمل قراءته بتركيز، ليقف عند الجملة التي تقول:

- يتّضح أنَّ علامات السكِّين سطحية ولكنَّها قريبة جداً من الشرايين لكن لا تصيبها.

ثمَّ يفتح التقرير الأخير، وهو تقرير "علياء"، ليبحث عن الجملة التي يريدها ليؤكِّد ظنونه، ويجدها:

- هناك الكثير من الجروح ولكنَّها تتفادى الشرايين والمناطق الحيوية.

يضحك "أدهم" بهستيرية، لقد عرف من الفاعل، لم يشعر يوماً بأنَّه بهذا الغباء، لقد خُدِع تماماً، إنَّه يضحك بلا توقُّف، ثمَّ يقول بأعلى صوته.

- إنت صح يا مروان.. نضف المجتمع.

***

بعد مرور سنة وسبعة أشهر يخرج "مروان" و"إنجي" من بوَّابة

كلية الطب، يتقدَّم "مروان" عليها ببعض الخطوات، تجري عليه "إنجي" ممسكةً يده، مبتسمة في وجهه، ينظر لها بنفس الوجه الباسم، يتابعا المشي. يبدو على "إنجي" أنَّها تريد قول شيء ولكن مترددة، فتنظر لوجه "مروان" الذي ينظر أمامه، لتقرر قول ما في خاطرها.

– أنا عارفة إحنا متكلمناش خالص عنِ موضوع يحيى.. بس أنا عايزة أقولك إني أخوك هو القاتل، هو إلِّي البوليس لقوا في بيته الأدوات إلِّي قتل بيها.. مش إنت.. فإنت مش مضطر تشيل ذنبه.. إنت ضحيَّة يا مروان.

– أنا عارف إنِّي مليش ذنب في إلِّي عمله أخويا الله يرحمه.. بس إنتِ بتقوليلي ليه كدة دلوقتي؟

– عشان عايزة أقولك.. إنِّي بحبَّك.. وهفضل أحبَّك.. مهما حصل مفيش حاجة من دي هتتغيَّر.

– وأنا كمان بحبِّك يا إنجي.. بس ياريت بلاش نتكلَّم في الموضوع دة تاني.. عشان لحدِّ دلوقتي مش مستوعب إنِّي أخويا هو إلِّي عمل كدة.

– فاهماك.. أنا مش مصدَّقة إننا أخيراً إتخرجنا.. ناوي تعمل إيه؟

تبدو الحيرة على "مروان" لم يتوقَّع هذا السؤال السبب الحقيقي في دخوله الطب كان رغبته أن يشعر أنَّه ناجح مثل أخيه "يحيى" لكنَّه لم يحب يوماً مجال الطب، فهو لا يأبه بمساعدة الغير، لتنهي الحيرة هذه السيِّدة التي تمشي على الجانب الأخر من الطريق ويسير بجوارها طفلها البالغ من العمر سبعة سنوات الذي يبكي بشدَّة فتصفعه بقوَّة ليبكي أكثر، تمسكه بعدها من أذنه وتجرُّه وراءها.

يضحك "مروان" لم يستطع منع نفسه، لقد شعر أنَّ العالم أجاب بدلاً عنه على سؤال "إنجي"، لقد تأكَّد أنَّ هذه هي حقيقته وأنَّ هذا ما يريد فعله.

تنظر له "إنجي" بتعجُّب لا تعلم ما يضحكه.

– إنت بتضحك على إيه يابني؟

– ولا حاجة إفتكرت حاجة كدة.

– طيب تعالى نروح نقعد في أيِّ كافيه.

– للأسف ورايا مشوار لازم أخلَّصه الأول.. بس وعد هعوضهالك.. يالا باي.

– باي

تنظر له "إنجي" وهو يعبر الشارع مسرعاً للجانب الأخر في

الاتجاه التي ذهبت إليه السيِّدة وابنها، حتَّى يختفي من مرمى بصرها، فتهز كتفيها بتعجُّب.

بداية.. النهاية